لغز عصابة يوم الخميس



محمود سالم

لغز عصابة يوم الخميس

تأليف

محمود سالم



لغز عصابة يوم الخميس

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٨٥ ٥

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

مغامرة صغيرة ٧
يوم الخميس ١٣
حكاية الشاويش «علي» ١٩
و... حكاية «شوقي» ٢٥
الشاويش مرة أخرى! ٣١
دور لـ «زنجر» ٣٩
ثلاثة في المستشفى ٤٥
نهاية مغامرة ٥١

مغامرة صغيرة

دق جرس التليفون في منزل «تختخ»، وكان المتحدث هو المفتش «سامي»، وعندما رفع «تختخ» السماعة قال المُفتش: صباح الخير … مُدهِش أنك استيقظت مبكرًا برغم أنك في إجازة!

رد «تختخ»: إنني أعمل بالنصيحة الذهبية … نمْ مُبكِّرًا واستيقظ مبكرًا!

المفتش: إنني أتحدَّث من المعادي …

تختخ: خير … حادث؟

المفتش: نعم … حادث سرقة لثالث مرة في المعادي!

تختخ: لقد قرأتُ عن الحادثتَين السابقتين … هل الثالثة من النوع نفسه؟

المفتش: نعم … وبالأسلوب نفسه … من الواضح أنها العصابة نفسها في كل مرة.

تختخ: هل لنا عمل؟

المفتش: نعم … وسآتي بعد ساعة إذا كان هذا مُناسبًا لكم!

تختخ: مناسب جدًّا … سأتصل بالأصدقاء … وسنكون كالمعتاد في حديقة منزل «عاطف».

المفتش: اتفقنا وإلى اللقاء.

واتصل «تختخ» بالأصدقاء، ثم أخذ «زنجر» معه واتجه إلى منزل «عاطف»؛ حيث اعتاد المغامرون الخمسة أن يجتمعوا … وكانوا جميعًا في انتظاره هناك فقصَّ عليهم مُكالَمة المفتِّش «سامي»، فصاحت المُغامِرة المتحمِّسة «لوزة»: لغز … لغز! وطبعًا رد عليها شقيقها الساحر «عاطف» قائلًا: أخشى أن تَنظُري في وجهي يومًا فتجدين لغزًا!

لوزة: إن هذا سيكون لغزًا مثيرًا … لغز الوجه الجميل!

محب: أو لغز الأنف الأحمر!

نوسة: بالمناسبة يا «عاطف» … ما سبب احمرار أنفِك؟

لوزة: أقول لكم؟

«عاطف» ثائرًا: لا تقولي شيئًا … أنفي أحمر أو أزرق لا دخلَ لأحد فيه …

تختخ: هل هي حكاية مُضحكة؟

لوزة: جدًّا … إن المسألة فيها بصل!

وعاد «عاطف» إلى مرحه قائلًا: في هذه الحالة نُسمِّيه لغز بصلة المحب … أو بصلة «محب».

محب: وما دخلي أنا … نُسمِّيها بصلة «عاطف».

تختخ: إنه يقصد المثل الذي يقول: بصلة المحب خروف!

وفي هذه اللحظة وصَل المفتِّش بقوامه الفارع ونظارته السوداء، فاستقبله الأصدقاء في حماسٍ؛ فهو يَحمل إليهم مغامرة، وهم دائمًا يُرحِّبون بالمغامرات والألغاز.

وبعد أن تبادلوا التحية، أخرج المفتش من جيبه ورقة صغيرة، ثم بدأ الحديث قائلًا: هذه الورقة فيها تواريخ الحوادث الثلاث التي وقعت في «المعادي» فقط، ولكن هناك حوادث سرقة أخرى وقعت في أحياء مُتفرِّقة من «القاهرة»، تمَّت بالأسلوب نفسه … والحوادث التي وقعت في «المعادي» كانت الأولى بتاريخ ٦ يونيو، والثانية بتاريخ ٢٠ يونيو، والثالثة التي وقعت اليوم أي بتاريخ ١١ يوليو، وكلُّها وقعت في منازل ليس بها أصحابها.

لوزة: مهجورة؟

المفتش: لا … ولكن إما أن أصحابها سافَرُوا إلى المصيف، وإما أنهم كانوا خارج المنزل في وقت وقوع السَّرقة، في سينما أو مسرح أو عند أصدقاء. وكذلك الحوادث التي وقعت في «القاهرة»، كانت في منازل ليس بها أصحابها.

تختخ: أي إن العصابة تختار منزلًا خاليًا من السكان وتسرقه.

المفتش: بالضبط … والسرقة تتمُّ بفتح الباب بمفاتيح مُصطَنعة … وفي الحقيقة إن العصابة من أبرع العصابات في فتح الأبواب بالمفاتيح المُصطَنعة … فهي لا تكسر الباب أو النافذة، ولكن تفتح الباب ببساطة مُدهِشة.

تختخ: وما هي الإجراءات التي اتخذتموها حتى الآن يا حضرة المفتِّش؟

المفتش: الإجراءات المُعتادة … فقد أعلنَّا في الصحف عن ضرورة قيام المواطنين بإخطارنا قبل سفرهم حتى يُمكن مراقبة المنازل التي ليس بها أصحابها … والحقيقة أنها مشكلة صعبة … فالناس تُسافر في المصيف بالألوف … ومن الصعب جدًّا إيجاد عدد كافٍ من رجال الشرطة لمُراقبة كل بيت!

محب: وبخاصَّة البيوت التي يذهب أصحابها إلى السينما أو المسرح أو لسهرة عند الأصدقاء، فهؤلاء لا يُخطَرون ... ولو أخطروا ما استطعتم تدبير شرطيٍّ لحراسة كل بيت!

المفتش: تمامًا.

تختخ: وما هي الإجراءات الأخرى؟

المفتش: أخذنا نراجع سجلَّ اللصوص الذين يُجيدون فتح الأبواب بالمفاتيح المُصطَنعة، وقد وجدنا أن أخطر هؤلاء اللصوص قد أُفرج عنه منذ شهر بعد قضاء مدة العقوبة فاعتقلناه لفترة.

نوسة: هل توقفَت السرقات؟

المفتش: للأسف لم تتوقَّف ... لقد وقعت حادثتان وهو في الحبس، وهكذا لم نجد بدًّا من الإفراج عنه.

وسكَت المفتِّش لحظات ثم مضى يقول: لقد شدَّدنا الحراسة في مختلف المناطق، ولكني شخصيًّا لا أعتقد أن في إمكاننا إيقاف اللصوص عند حدِّهم بهذه الوسيلة. فكيف نَحرُس مدينةً تعدادُها ٧ ملايين شخص؟

محب: هل هم مُتخصِّصون في سرقة نوع مُعيَّن من المنقولات؟

المفتش: لا ... إنهم يَسرقُون أي شيء يقع بين أيديهم ... تليفزيونات ... راديوهات ... مجوهرات ... نقود ... حتى الملابس!

عاطف: ألم تَتتبَّعوا هذه المسروقات؟

المفتش: طبعًا ... ولكن حتى الآن لم نَعثُر على شيء من المسروقات يُمكن أن تدلَّنا على اللصوص.

لوزة: والبصمات، وأعقاب السجائر؟

وابتسم المفتش وقال: يبدو أنهم لا يُدخِّنون يا «لوزة» حتى نعثر على أعقاب سجاير مكانهم ... كما أنهم لا يتركون أي بصمات ... إنَّ الوسائل العادية في الاستكشاف قد جرَّبناها كلها.

تختخ: شيء مزعج للغاية ... ولكن المثل يقول إنه لا توجد جريمة كاملة.

المفتش: طبعًا ... لا بد أنهم سيُخطئون يومًا ... أو يقعون بطريق الصدفة.

عاطف: والشاويش «علي»؟

ابتسم المفتش قائلًا: إنه واثق تمامًا أنه سيَقبض على العصابة.

عاطف: هل كوَّن فكرة معينة؟

المفتش: إنه يطوف طول الليل على دراجته ... وعنده أمل أنه سيجدهم، ويقبض عليهم.

تختخ: الحقيقة أنه يفعل الشيء الوحيد المُمكِن.

محب: هل تعني ما تقول يا «تختخ»؟

تختخ: طبعًا! ماذا تَستطيع أن تفعل إلا أن تُراقب وتراقب؟ إنني شخصيًّا سوف أركب دراجتي الليلة وأفعل ما يفعله الشاويش بالضبط!

لوزة: وأنا أيضًا.

وضحك المفتش قائلًا: وماذا تفعلين عندما تجدين اللصوص؟

ارتبكت «لوزة» لحظات ثم قالت: أصرخ بأعلى صوتي.

مد المفتش يده فمسَح شعرها قائلًا: هذا هو الحل الأمثل والسلاح الذي لا يمكن مقاومته.

وقام المفتش مودِّعًا الأصدقاء، وطلب منهم كالمعتاد أن يحترسوا.

وفي المساء اجتمع الأصدقاء وقسموا المراقبة ... «لوزة» و«نوسة» معًا تدوران من الثامنة مساء حتى التاسعة فقط، ثم تعودان، فيخرج «محب» و«عاطف» معًا و«تختخ» و«زنجر» معًا. على أن يقسموا المعادي إلى قسمين؛ كل اثنين يعملان في جزء منهما.

وفي الثامنة تمامًا خرجت «نوسة» و«لوزة»، وفي التاسعة عادتا ... وكان وجه «لوزة» تبدو عليه علامات الضيق، وما كادت تدخل حتى قالت: لم نعثر على شيء طبعًا؛ فمن غير المعقول أن تقوم عصابة بالسرقة في هذا الموعد ... أنتم تضحكُون علينا، ولن أخرج مرة أخرى.

وجلست ومدت ساقيها إلى الأمام فقال «تختخ» مبتسمًا: سوف نسأل العصابة عن موعد قيامها بالسرقات حتى يُمكنكِ مراقبتها.

وقال «عاطف» ضاحكًا: عظيم يا «تختخ»، هذه نكتة فعلًا ... ها ... ها ...

لوزة: اضحك كما تشاء ... سنرى ماذا تفعل أنت.

وخرج الأولاد الثلاثة ... وسار «محب» و«عاطف» في اتجاه. وسار «تختخ» في اتجاه مختلف، وخلفه «زنجر».

كانت حوادث السرقة قد تمَّت في أماكن متطرفة من «المعادي» ... وأخذ «محب» و«عاطف» يتحدثان وهما يسيران في الطرق الهادئة ... يتركان المنازل المضاءة ويقفان

أمام البيوت و«الفيلات» المظلمة ... فقد كان إظلامها دليلًا على أن لا أحد فيها ... وأن اللصوص قد يطرقون بابها.

وانعطفا من شارع واسع إلى شارع ضيق، كانت تُظلِّلُه الأشجار كأنه مسقوف بورق الشجر، وكان هادئًا هدوءًا غريبًا ... وتوقَّف الصديقان في منتصفه ... وأرهفا السمع ... وخُيِّل إليهما أنهما يسمعان صوت أقدام من بعيد أمام أحد المنازل.

قال «محب»: هل تسمع؟

عاطف: نعم.

محب: أعتقد أنه في هذا الاتجاه ...

وأشار بإصبعه إلى منزل بعيد ... كان مُظلمًا وفانوس الشارع أمامه غير مُضاء، واقتربا بهدوء ... وهمس «محب»: هناك دراجة!

عاطف: هل تظنُّ أن اللصوص يستخدمون الدراجات؟

محب: لا أعرف ... ولعله واحد منهم فقط يتأكد من خلوِّ المنزل من السكان.

وزاد اقترابهما ... ثم تركا الدراجتين، ونزلا واتجها إلى المنزل ... وزاد الصوت الذي سمعاه وضوحًا. وهمس «محب»: كأن شخصًا يَختبر قفلًا!

عاطف: فعلًا!

ووقفا خلف سور الحديقة القريب من الباب ... كان الظلام كثيفًا، ولكنهما استطاعا تمييز شبح طويل ... وفجأةً في الصمت صاح «عاطف» متألِّمًا، فقد قرصته حشرة قرصة مُوجِعة.

وتحرَّك الشبح سريعًا في اتجاههما وهو يصيح: قف عندك!

وعرفا على الفور أنَّ الشبح لم يكن إلا الشاويش «علي»، ووقفا مذهولَين ... ثم أطلقا سيقانهما للريح ... وقد أدركا أن المتاعب ستُواجههما إذا استطاع أن يصل إليهما.

جريا في اتجاه الدراجتين، وكان الشاويش خلفهما يجري، وسمعا صوت إعداد مسدسه للإطلاق ... ولم يكن أمامهما إلا أن يقفا ... ووصل الشاويش، وأطلق ضوء مصباحه الكشَّاف في وجهَيهما ثم صاح: أنتما؟

لم يردَّا. وعاد الشاويش يقول في غضب شديد: ماذا تفعلان هنا؟

قال «محب»: إننا نبحث عن اللصوص.

الشاويش: أي لصوص؟

محب: الذين قاموا بالسرقات الثلاث هذا الشهر.

الشاويش: ومن أين عرفتما؟

محب: من المفتش «سامي»!

الشاويش: إنني لا أصدق حرفًا مما تقولان ... اعترفا فورًا!

لم يتمالك «عاطف» نفسه فقال ساخرًا كعادته: سنَعترف فورًا يا شاويش، سنعترف!

الشاويش: ستَعترفان ... نعم، لا بد أن تَعترفا، ولكن بأي شيء؟

عاطف: كما تريد يا شاويش «علي» ... بأننا مثلًا لصوص.

وتقدم الشاويش ساخطًا منهما. وبدون أن يرى موضع قدمه تعثَّر في الرصيف وسقط على الأرض.

كانت فرصتهما للنجاة من هذا الاستجواب، فقفزا إلى دراجتَيهما وانطلقا يسابقان الريح، وصوت الشاويش يرنُّ في آذانهما: سأنتقم منكم جميعًا ... إنكم تُعطلونني عن عملي، إنني ...!

ووصلا إلى الشارع المضاء، وانطلقا يجريان ولم يتوقفا إلا عند منزل «عاطف» فافترقا على أن يلتقيا في صباح اليوم التالي كالمعتاد في حديقة «عاطف».

وفي هذا الوقت كان «تختخ» و«زنجر» يطوفان بالشوارع ... ولم يحدث أي شيء غير عادي يلفت الأنظار.

يوم الخميس

في صباح اليوم التالي اجتمع الأصدقاء، ولم تمضِ دقيقة واحدة حتى وصل الشاويش «فرقع». وبالطبع كانوا يتوقعون حضوره بعد حادث الأمس … وعندما ظهر أمامهم كان يضع على جانب وجهه شريطًا طبيًّا … وكان واضحًا أنه أصيب بجرح عندما وقع على الرصيف.

واستقبلوه مرحِّبين، ولكنه صاح في وجوههم كالمعتاد: هذه آخر مرة أسمح لكم فيها بالتدخل في عملي … آخر مرة، بعد ذلك سوف أقبض عليكم جميعًا بتهمة تعطيل العدالة.

رد «تختخ» بهدوء: كيف عطلنا العدالة يا شاويش؟ إنني في الحقيقة لا أفهم سبب غضبك الدائم علينا، برغم أننا ساعَدناك كثيرًا.

الشاويش: لا أريد مساعدتكم … إنني أرفضها، وأنا حرٌّ في قبولها أو رفضها … إنني …

قال «عاطف» مقاطعًا: هل إذا شاهدنا العصابة ووجدناها تسرق، نسكُتُ ولا نُبلغُك؟ في هذه الحالة نكون فعلًا قد عطلنا العدالة، وتستَّرنا على اللصوص!

صاح الشاويش: أنتم تجدون اللصوص؟ أنتم تعثرون عليهم قبلي؟

وأمسك شاربه وقال: في هذه الحالة لا أُسمِّي نفسي الشاويش «علي».

قال «عاطف» معابثًا: ماذا تُسمِّي نفسك في هذه الحالة يا شاويش؟

انفجر الشاويش يَصيح في كلمات غير مفهومة … ولكنه لم يستمرَّ طويلًا، فقد ظهر «زنجر» وتمطَّى وهو يتقدَّم من الشاويش لإشباع هوايته في معابثته. ولكن الشاويش هذه المرة كان أسرع منه، فقد قفز إلى دراجته وانطلق مُبتعِدًا.

قال «محب»: إن الشاويش …

ولكن «نوسة» قاطعته قائلة: دعنا من الشاويش الآن … فقد عثَرنا على شيء هام!

محب: متى؟

نوسة: أمس ليلًا بعد أن ذهبتم للمراقبة ... فقد راجعت التواريخ التي أعطانا إياها المفتش «سامي» ووجدتُ شيئًا غريبًا ...

والتفت إليها الأصدقاء جميعًا بانتباه فقالت: إنَّ هذه التواريخ جميعًا تقع يوم الخميس؛ ٦ يونيو يوم خميس، ٢٠ يونيو يوم خميس ... ١١ يوليو يوم خميس!

تختخ: مُدهش جدًّا!

لوزة: إن «نوسة» هي المدهشة!

محب: هذا يعني أن العصابة لا تَرتكب حوادثها إلا يوم الخميس ... إن هذا يُضيِّق نطاق بحثنا كثيرًا.

نوسة: بدلًا من أن نقوم بالمراقبة كل يوم ... تكفي فقط أيام الخميس.

عاطف: إنها عصابة ظريفة جدًّا ... عصابة يوم الخميس!

تختخ: فعلًا ... ولكن لماذا يوم الخميس بالذات ... لا بد أن هناك سببًا أو أسبابًا قوية.

نوسة: لقد فكَّرتُ في هذا أيضًا، والسبب الوحيد الذي عثرت عليه أن يوم الخميس هو اليوم الذي يسهر فيه الناس غالبًا خارج البيوت ... لأن الإجازة الأسبوعية هي يوم الجمعة ... ويستطيع الناس أن يسهروا طويلًا.

محب: سبب معقول!

تختخ: معقول فعلًا ... ولكن ألا تكون مجرَّد صدفة وهناك أسباب أخرى؟

وغرق المغامرون الخمسة في أفكارهم، ثم قالت «لوزة»: فلنتصل بالمفتش «سامي» ونسأله عن بقية السرقات التي قامت بها العصابة ... فإذا كانت يوم الخميس أيضًا كان ذلك تأكيدًا لاستنتاجات «نوسة»، ولا تكون المسألة مجرد صدفة.

وسرعان ما أحضرت «لوزة» التليفون واتصل «تختخ» بالمفتش «سامي» وأخبره بما توصلت إليه «نوسة» فقال المفتش معلقًا: شيء لطيفٌ حقًّا ... لا أدري لماذا لم نتنبَّه إليه هنا.

تختخ: هل نستطيع أن نعرف بقية التواريخ؟

المفتش: طبعًا ... وأمامي النتيجة وسوف أراجعها ... انتظر على التليفون.

وجلس «تختخ» ساكنًا والتليفون في يده، وأخذ بقية المغامرين ينظرون إليه في انتباه ... ومضت بضع دقائق، ثم سمع «تختخ» المفتش «سامي» يقول: كما استنتجتم تمامًا ... جميع الحوادث تمَّت يوم الخميس ... شيء غير معقول!

تختخ: إن ذلك يُقرِّبنا خطوة من حل هذه المشكلة العجيبة … وبالمناسبة فقد أطلق «عاطف» على العصابة اسم «عصابة يوم الخميس».

ضحك المفتش في التليفون قائلًا: معه حق … وسأكتُب على الملف نفس الاسم … وأرجو أن تشكر «نوسة» على ذكائها البارع، واطلُب منها أن تُحاول مرةً أخرى؛ فقد تجد شيئًا آخر.

ووضع «تختخ» السماعة واستمر النقاش، فقال «محب»: اليوم الثلاثاء … فلن يكون أمامنا عمل إلا يوم الخميس، أي بعد يومين.

لوزة: هل نُخطر الشاويش «علي» بما وصلنا إليه؟

عاطف: سوف يسخر منا كالعادة، ولن يصدق شيئًا.

تختخ: على كل حال سوف نُخطره، وهو حر في أن يصدق أو لا يصدق!

لوزة: وهل نُبقي هذين اليومين بلا عمل؟

تختخ: لا بأس بيوم واحد مُغامرة في الأسبوع.

ومر يومان عاديان في حياة الأصدقاء … وجاء يوم الخميس … فاستعدوا بالدراجات، وفي العاشرة مساءً خرج «محب» و«عاطف» معًا و«تختخ» و«زنجر» معًا بعد أن ألغيت دورة «لوزة» و«نوسة» من الثامنة إلى التاسعة؛ فقد أدرك الأصدقاء فعلًا أن العصابة لا يمكن أن ترتكب سرقاتها في هذا الوقت المبكر.

تجاوزت الساعة منتصف الليل، والأصدقاء «محب» و«عاطف» في جهة، و«تختخ» و«زنجر» في جهة أخرى، يسيرون فترة، ويرتاحون فترة أخرى، وقد قطعوا أكثر شوارع المعادي بدون أن يلفت نظرهم شيء غير عادي.

وقرب الساعة الواحدة، كان «محب» و«عاطف» يمران قرب شارعٍ فلاحَظا أنه مُظلم تمامًا … برغم أن بقية الشوارع المُجاوِرة له كانت مضيئة … لفت ذلك نظرهما … فقررا أن يطوفا به … ولكن قبل أن يدخلا الشارع … شاهدا في الظلام هيكل سيارة واقفة وأشباحَ أشخاص يقفون بجوارها وهم يُصلحونها.

فقال «عاطف»: شيء غريب أن يتمَّ إصلاح سيارة في الظلام!

محب: لعلها تعطَّلت منهم في هذا المكان.

عاطف: لو كنت مكانهم لدفعتها إلى الشارع المضاء حتى يُمكن إصلاحها.

محب: لنقف ونرقب.

عاطف: سأتسلَّل قريبًا منهم بجوار الجدران لعلي أسمع أو أرى شيئًا ذا أهمية.

ونزل بهدوء من على دراجته ثم تسلل سريعًا في الظلام، واقترب من السيارة ... كان غطاء المحرك مرفوعًا، وهناك شخص مُنحنٍ على المُحرِّك وبيده كشَّاف صغير، على حين وقف شخصان بجوار السيارة ... وكانوا جميعًا صامتين ...

دهش «عاطف»؛ لأنه عندما تتعطَّل سيارة بهذا الشكل فغالبًا ما يدور حوار بين ركابها عن سبب توقفها ... ولكنه قال في نفسه ... لننتظر ونرى ... ومرَّ الوقت بدون أن يسمع كلمة من الواقفين ... ولا يسمع يد الرجل الذي يُصلح «الموتور» تصدر صوتًا كدليل على أنه يعمل حقًّا في إصلاح «الموتور».

وسمع ... أو خُيِّل إليه أنه سمع، صوت جرس يدق بعيدًا وأرهف كل حواسه للسمع ... وتأكد أن الجرس يضرب ... وفجأة ظهر شبح رجل رابع اقترب من السيارة وهمس بحديث للشخصين الواقفين، فتبعه أحدهما، واتجها إلى «فيلا» مُظلمة ... ولم يُضيِّع «عاطف» وقتًا بل أسرع يجري مستترًا بالجدران إلى حيث كان يقف «محب» وهمس: هذه السيارة ومن فيها، وحركاتهم تدعو إلى الشك!

محب: كيف؟

وهمس «عاطف» بما رأى «لمحب» قال «محب»: أسرع إلى الشاويش «علي» فورًا. ولو أن مسكنه بعيد، إلا أنهم — إذا كانوا هم اللصوص — سيبقون هنا ساعة على الأقل لإنجاز مهمَّتهم، وسوف أقوم أنا بمراقبتهم.

وجرَّ «عاطف» دراجته بدون أن يركبها حتى لا يحدث صوتًا، وعندما وصل إلى الشارع الرئيسي قفز إليها وطار.

أما «محب» فقد أسند دراجته بجوار سياج من الشجر، ثم تقدم ببطء في الظلام بجوار الجدران حتى أصبح قريبًا من العربة، وشاهد بابها يُفتح ... ثم شاهد شبحين يمدان أيديهما داخل السيارة ... وبعد لحظات نزل شبح ثالث ... كان واضحًا أن الأولين كانا يُساعدانه على النزول.

قال «محب» في نفسه: شيء غريب ... إنه يبدو مريضًا أو عجوزًا ... فكيف تأتي عصابة معها رجل عاجز للسرقة؟

نزل الرجل ببطء من السيارة، وكان الآخران يسندانه، ثم سار معهما وصعد سلالم «الفيلا»، وغاب عن عينَي «محب»، وأصبحت السيارة مهجورة ... فاقترب منهما «محب» أكثر حتى زحف وأصبح بحوارها، وأخذ يُحدق في أرقامها، واستطاع أن يقرأ الرقم ٢٢٦٨ ملاكي «القاهرة»، وأخذ يردد الرقم في ذهنه حتى لا ينساه ... وبعد فترة سمع أقدامًا مقبلة،

فأسرع يختفي في مكانه الأول، وأخذ يرقب ما يحدث ... كان الرجل العجوز أو المريض عائدًا يسنده رجلان، ففتحا باب السيارة، ثم وضعاه فيها وأغلقا الباب، وعادا مُسرعَين إلى «الفيلا».

أخذ «محب» يرقب «الفيلا»، وفي الوقت نفسه يقيس في ذهنه المسافة إلى منزل الشاويش «علي» وهو يفكر فيما يفعله إذا تأخَّر «عاطف» والشاويش عن العودة في الوقت المناسب.

ومضى وقت طويل قدَّره «محب» بنصف ساعة ... ثم شاهد أحد الرجال يعود من «الفيلا» ومعه حقيبة، ففتح مؤخرة السيارة ووضعها فيها، ثم عاد إلى «الفيلا»، وحضر شخص آخر يحمل حزمة كبيرة وضعها هو الآخر ... وأدرك «محب» أنها العصابة وأنهم يَسرقُون «الفيلا» ... وبدأت أعصابه تتوتر وهو يرى السرقة تتم أمامه بدون أن يستطيع أن يفعل شيئًا لإيقافها ... وأخذ يفكر ... ليس من الممكن طبعًا أن يتدخل وحده فسوف يتمكنون من القضاء عليه ... هل يصيح في طلب النجدة؟ إنهم سيفرون قبل أن يلحق به أحد ... هل يدق باب أحد المساكن ويخطر السكان؟ إن الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا، وأكثر الناس نيام ... وحتى يوقظهم سيأخذ وقتًا طويلًا، وقد يرفضون التدخل خوفًا من العصابة.

وأخذت الأفكار تدور في رأسه، وتوتُّره يزداد، وبخاصة عندما سمع باب «الفيلا» يغلق بهدوء ... وشاهد أفراد العصابة يحملون أسلابهم ويتجهون إلى السيارة. ركب منهم ثلاثة، وكان الرابع يحمل حملًا ثقيلًا فمشى مترنِّحًا ... وفي هذه اللحظة سمع «محب» صوت الدراجتين وهما تدخلان الشارع، والشاويش «علي» يصيح: قف عندك ... لا تتحرك.

دار محرك السيارة، وألقى الرجل الرابع ما يحمله على الأرض، وأسرع نحوها، ولكن «محب» لم يترك هذه الفرصة تفوته، فقد قفز في الظلام وألقى بنفسه على الرجل فسقطا معًا على الأرض يتدحرجان ... وكانت العربة قد انطلقت بسرعة ... واقترب «عاطف» والشاويش من «محب» وعضو العصابة الذي نجح في الوقوف في محاوَلة للهرب، ولكن «محب» انقضَّ عليه مرةً أخرى، وحاول الإمساك به ... ولكن الرجل كان أقوى منه فضربة لكمة قاسية سقط على أثرها «محب» على الأرض، وارتطمت رأسه بها.

أسرع «عاطف» إلى «محب» على حين انطلق الشاويش جاريًا خلف الشبح، وكان آخر ما رآه «عاطف» اللص وهو يقفز سور إحدى الحدائق، والشاويش وهو يقفز خلفه. وانحنى «عاطف» على «محب» الذي كان ممدَّدًا على الأرض.

وصاح «عاطف»: «محب» ... «محب»!

لم يرد «محب» فأخرج «عاطف» كشافه وأضاء وجه «محب»، ثم سمع صوت سيارة تقف فرفع بصره لعله يجد نجدة، ولكن السيارة استأنفت سيرها، فمال مرةً أخرى على صديقه وسمعه يتأوَّه، فحمد الله أنه حي، وعاد يقول: «محب» ... هل أنت مُصاب؟

رد «محب» بصوت ضعيف: لا أظن ... فقط أشعر بدوخة شديدة ... لقد سقطت رأسي ... أين الرجل؟ وأين الشاويش؟

عاطف: لقد جرى الرجل وجرى الشاويش خلفه.

محب: هل نستطيع أن نلحق بهما؟

عاطف: لا أظن ...

وتساند «محب» على «عاطف» ووقف ... وأخذا يستمعان لحظات لعلهما يسمعان صوت المطاردة ... ولكن الصمت كان يُخيِّم على المكان، عدا نافذة فتحت وأطل منها شخص أخذ يتساءل ماذا حدث.

ولم يرد عليه الصديقان، بل اتجها إلى حيث كانت دراجتاهما، فركبا، ثم انطلقا عائدين ... وعندما وصلا إلى قرب منزل «تختخ» وجداه عائدًا ومعه «زنجر» فأسرعا إليه، ووقفوا جميعًا يتحدثون ...

حكاية الشاويش «علي»

في صباح اليوم التالي ... في حديقة «عاطف» جلس المغامرون الخمسة يتحدثون ... فروى «محب» و«عاطف» ما حدث لهما في الليل ... ولكن برغم القصة المثيرة التي روياها كانت هناك قصة أكثر إثارة حملها إليهم الشاويش «فرقع» عندما ظهر بعد قليل وهو يركب دراجته وقد بدا تعسًا ومبتئسًا إلى أقصى حد.

وكان الأصدقاء بالطبع في غاية الاهتمام بالمطاردة ... فقد كان آخر ما شاهده «محب» و«عاطف» اللص الهارب وخلفه الشاويش «علي»، وصاح «عاطف» عندما رأى الشاويش: هل قبضت عليه؟

قال الشاويش وهو يسند دراجته ويجلس: نعم ... قبضت عليه ... حاصرته في غرفة مغلقة ولم يكن بيني وبينه إلا متر أو متران وأمسكته من رقبته.

ومد الشاويش يديه الكبيرتين، وكأنه يتخيل أنه يقبض على رقبة اللص ... ومضى يقول بانفعال: جريت خلفه ... برغم الحذاء الثقيل كنت أجري — صدقوني — كالريح، وأخذت المسافة بيني وبينه تقل تدريجيًّا ... ولحسن الحظ ... انضم إليَّ رجل في المطاردة وأخذنا معًا نجري خلفه.

وأخذ الشاويش نفسًا عميقًا ثم مضى يقول: وجرى وجرينا ... مسافة طويلة في الظلام ... وللأسف لم يكن معي سلاحي ... فإني أتركه في القسم حسب التعليمات ... ولو كان معي لأطلقت عليه الرصاص ... ولكن لم يكن — كما قلت لكم — معي أي سلاح ... لم يكن معي سوى قدمي ...

قالت «لوزة» بنفاد صبر: المهم يا شاويش هل قبضت عليه؟

رد الشاويش متضايقًا: انتظري لحظات ... ستعرفين كل شيء ... لقد جريت كما لم أجر في حياتي أبدًا ... و...

وسكت الشاويش لحظات ليسترد أنفاسه ثم عاد يقول: وحدث لي أغرب حادث في حياتي.

وانتبه الأصدقاء جميعًا ... شدتهم كلمات الشاويش الأخيرة ... وأخذوا يستمعون في شغف وقال الشاويش: لأول مرة في حياتي أرى جثة تتحرَّك — جثة تَهرُب — رجل ميت يَختفي من أمام عيني.

وبدت على وجوه الأصدقاء الخمسة علامات الدهشة أولًا — ثم عدم التصديق ثانيًا ... ولوى «عاطف» فمه وكاد يُطلق تعليقًا ساخرًا ... لولا أن الأصدقاء لاحظوا أن الشاويش كان جادًّا جدًّا وهو يتحدث ... ولم يكن من الممكن أن يكون قد جاء إليهم ليقول لهم قصة خرافية تثير ضحكهم.

قال «تختخ» بهدوء: اشرح لنا هذه النقطة يا شاويش ... جثة تتحرَّك ... ميت يهرب ... إنها كلمات مخيفة وغريبة في الوقت نفسه.

عاد الشاويش إلى الحديث: صدقوني إنكم طبعًا تعرفون أنني لا أكذب أبدًا ... ولماذا أكذب؟ ... إنني قلت هذا الكلام نفسه للمفتش «سامي»، فهل أكذب على المفتش أيضًا؟

قال «محب»: اطمئن يا شاويش «علي» إننا نُصدِّقك ... المهم قل لنا كيف تحركت الجثة وهرب الميت؟

هز الشاويش رأسه قائلًا: جريت ومعي هذا الرجل خلف اللص ... وبعد فترة كان واضحًا أنه أدرك أننا سنلحق به في النهاية فدخل منزلًا ... فتح الباب ودخل ... ونظر الشاويش إلى الأصدقاء ليرى وقع كلماته ثم مضى يتحدث: ولم أتردَّد طبعًا ودخلت المنزل خلفه ...

قال «تختخ» لحظة واحدة يا شاويش ... تقول إنه دخل المنزل ... هل كان المنزل مفتوحًا أو فتحه ودخل؟

الشاويش: لا ... كان الباب مغلقًا ... ولكن الرجل أدار مقبض الباب فانفتح، وقبل أن يغلقه خلفه كنت قد وصلتُ ومنعتُه من إغلاق الباب، فتركه وجرى، ودخلت جاريًا ... وسمعت صوت أقدامه فوق السلم الداخلي؛ فقد كان المنزل «فيلا» ... وصعدت خلفه ... وفتح باب إحدى الغرف ودخل ... ثم أغلق الباب ... ففتحت الباب ودخلت ... ودخل معي الشخص الذي اشترك في المطاردة.

وانتبه الأصدقاء جميعًا، فقد كانت اللحظة الحاسمة قادمة وقال الشاويش: وجدت الرجل يقف في طرف الغرفة وهو يلهث ... وصدره يعلو ويهبط بشدة ... كان واضحًا أنه مُرهَق من كثرة الجري ... وكنت مثله ... وتقدمتُ لأُمسكه ... ولم يبد مقاومة ... وفجأة ...

وصمت الشاويش وبدت على وجهه علامات التوتُّر الشديد: وفجأة سمعت ثلاث طلقات رصاص تأتي من خلفي ... ورأيت الرجل يصرخ ثم يترنح ويسقط على الأرض ... كان شيئًا مذهلًا ... مات اللص في لحظة بعد أن كدتُ أصل إليه ... وأفقت إلى نفسي بعد لحظات من الذهول وتلفَّت خلفي ... ورأيت الرجل الذي كان معي يجري ... فجريت خلفه ... ونزلت السلَّم مُسرعًا ... ووجدته يقف أمام الباب وقال لي: إن الرجل الذي أطلق الرصاص خرج من الباب ... ولا أدري إذا كان قد جرى في اتجاه اليمين أو اليسار ... وفكَّرت بسرعة ... وطلبت منه أن يجري هو من ناحية، وأنا من الناحية الأخرى، فلم يكن حول «الفيلا» منازل قريبة ... جريت أنا ناحية اليمين، وجرى هو ناحية اليسار، وتقابلنا خلف «الفيلا» بدون أن نجد أحدًا ... لقد استطاع القاتل الهرب في الظلام ... ووقفت أنا والرجل الذي اشترك في المطاردة نُحدِّق في الظلام ... لم يكن أمامنا ما نفعله فعدنا إلى المنزل ... وعرفت أن اسمه «شوقي» وأنه كان عائدًا من «القاهرة»، عندما شاهدني أطارد اللص فاشترك معي لأنه يعرفني ...

وسكت الشاويش لحظات ثم مضى يكمل قصته: وقال لي «شوقي» إن القاتل شخص طويل القامة ... يرتدي ملابس قاتمة اللون ... وشعره طويل ... وطبعًا هو رآه من الخلف فلم يستطع أن يحدد شكله بحيث نتعرف عليه ... وعدنا كما قلت إلى «الفيلا»، وكانت في انتظارنا مفاجأة أكبر من كل المفاجآت التي مرت بنا ...

وتعلقت أبصار المغامرين الخمسة بشفتي الشاويش «علي» الذي لمعت عيناه وهو يقول: صعدنا السلالم، واتجهنا إلى الغرفة التي قُتل فيها اللص ... كان النور خفيفًا كما كان ... وكانت الغرفة خالية!

وسكت الشاويش فقال «محب»: خالية؟ واللص القتيل؟

الشاويش: لم يكن في الغرفة أحد على الإطلاق، لقد هرَب القتيل! طارت الجثة كأنها لم تكن.

لوزة: غير معقول يا شاويش!

الشاويش: أقسم أن هذا ما حدث ... وأخذت معي «شوقي» نجري في أنحاء «الفيلا» المهجورة، ولكن لم يكن للصِّ القتيل أثر ... لقد اختفى كأنما هو دخان تلاشى في الهواء!

وصمت الشاويش وأخذ ينظر إلى الأصدقاء كأنما يبحث عندهم عن تفسير لهذه الظاهرة العجيبة، وكان المغامرون الخمسة صامتين ... يفكرون فيما سمعوه من الشاويش ... محاولين الاقتناع بحكاية الجثة الهاربة.

وكان «تختخ» أول المتحدثين فقال: هل أنت متأكد يا شاويش أن الرصاصات الثلاث أصابت اللص؟

الشاويش: طبعًا … لقد انطلقَت من خلفي، ورأيته وهو يترنَّح ثم يسقط على الأرض صارخًا وهو يُمسك بقلبه.

تختخ: وبعدها؟

الشاويش: كما قلت لك … أُصبتُ بالذهول لحظات، ثم تلفَّت خلفي وجريت ووجدت «شوقي» قد سبقني جاريًا إلى باب «الفيلا» خلف القاتل.

تختخ: وهل فحصتها فحصًا دقيقًا؟

الشاويش: لا؛ فكما قلت كان الضوء فيها قادمًا من الخارج، ضوء خفيف لا يكفي لفحص أي شيء.

تختخ: هل تَعني أنها ليسَت مسكونة؟

الشاويش: لستُ مُتأكدًا … ولكن الغرفة التي دخلها اللص كانت غرفة نوم بها الأثاثات الخاصة بها.

تختخ: إننا نُحبُّ أن نفحصها … إذا كان ذلك ممكنًا!

الشاويش: إنني ذاهب إلى هناك الآن فتعالوا معي.

وقام الأصدقاء جميعًا … وتدحرجت الدراجات في طريقها إلى «الفيلا» التي جرَت فيها الأحداث … وكان في ذهن المغامرين جمعًا أسئلة كثيرة حول هذه الواقعة الغريبة؛ فإن ما رواه الشاويش عن الجثة الهاربة كان شيئًا بعيدًا عن العقل.

وعندما وصل الأصدقاء والشاويش، كان في انتظارهم مفاجأة أخرى في سلسلة المفاجآت التي يمر بها هذا اللغز العجيب. لقد وجدوا «الفيلا» مفتوحة الباب وأمامها بعض الأشخاص، وسيارة عليها بعض الحقائب.

أشار الشاويش إلى «الفيلا» قائلًا: هذه هي!

محب: ومن هؤلاء؟

الشاويش: لا أدري … هذه أول مرة أراهم.

ولم يكد الواقفون أمام باب «الفيلا» يُشاهدون الشاويش حتى انطلقَت صيحاتهم وارتفعت أيديهم في الهواء … وعندما وقف الشاويش وخلفه الأصدقاء قال أحد الواقفين أمام الباب بانفعال شديد: لقد سُرقنا … سرقُوا منزلنا يا شاويش!

وفتح الشاويش فمه كأن صاعقة انقضَّت عليه، وقال: من الذي سرقها؟

رد الرجل في ضيق: ومن أين نعرف؟ إن عليك أنت أن تعرف، لقد جردوها من كل شيء ثمين.

نزل الشاويش من على دراجته وسأل: هل كنتم هنا أمس ليلًا؟

الرجل: لا طبعًا، لقد كُنا في إجازة بالإسكندرية منذ يوم الأربعاء، وحضرنا الآن فقط.

ونظر الشاويش إلى الأصدقاء كأنما يلتمس مشورتهم، فقال «تختخ»: من اللازم أن نفحص «الفيلا» يا شاويش «علي» لنرى ماذا سرق؟

وتشجع الشاويش وقال: نعم ... سأقوم بذلك!

وقال «تختخ» للأصدقاء: انتظروا أنتم وسأدخل أنا معه ... فسوف نلفت أنظار أصحاب «الفيلا» إذا دخلنا جميعًا.

وأسرع «تختخ» خلف الشاويش ودخلا معًا، وهمس «تختخ» في أذن الشاويش بأنه يُريد مشاهدة الغرفة التي كان بها اللص القتيل، وبينما كان الشاويش يستمع إلى السكان وهم يعدُّون الأشياء المسروقة وأوصافها، كان «تختخ» منهمكًا في فحص الغرفة ... الأرض والنوافذ ... والفِراش والأغطية ... وكل شيء فيها ... ثم ترك الشاويش يستمع إلى السكان وخرج، ودار حول المنزل ووقف تحت نافذة الغرفة التي كان بها اللص القتيل، وأخذ يقيس المسافة بين النافذة والأرض، ووقف يفحص الأرض تحت النافذة، ثم سار نحو ثلاثين مترًا وأخذ يفحص الأرض حوله بعناية.

وعاد «تختخ» ليجد الشاويش ما زال منهمكًا في الحديث مع السكان، فتقدَّم منه واستأذن في الحديث إليه لحظات، فترك الشاويش السكان ووقف مع «تختخ».

فقال له «تختخ»: لقد قلت لنا إن «شوقي» — الذي اشترك في مطاردة اللص معك — يعرفك ... فهل تعرفه أنت؟ أقصد هل كنت تعرفه؟

قال الشاويش عابسًا: لا، لم أكن أعرفه من قبل، لكنه كان يُعرفُني ... أنت تعرف طبعًا أنني مشهور في ...

قاطعه «تختخ» قائلًا: طبعًا ... طبعًا يا شاويش ... ولكن هل أخذت اسم «شوقي» بالكامل وعنوانه؟

وقال الشاويش: طبعًا، هل تظنُّ أن مثل هذا الإجراء يمكن أن يفوتني، لقد أخذت اسمه وعنوانه.

تختخ: هل هو معك الآن؟

مد الشاويش يده في جيبه ثم أخرج نوتة قديمة، وأخذ يُبلِّل طرف إصبعه ويُقلِّب أوراقه في دقة ثم توقف عند صفحة منها وقال: هذا هو ... «شوقي عبد ...» «شوقي عبد ...» إنني لا أستطيع قراءة بقية الاسم، ولكن عنوانه شارع ٨٩ رقم ١٩.

ردد «تختخ» الاسم والعنوان، ثم قال للشاويش: سنذهب الآن لمقابلة «شوقي» ونرجو أن نراك بعد أن تتَّخذ إجراءاتك هنا.

وترك «تختخ» الشاويش ثم اتجه إلى الأصدقاء، وما إن رأوه حتى انهالوا عليه بالأسئلة، ولكنه ظل صامتًا، ورفع يده إشارة لهم بالتوقف ثم قال: هيا إلى دراجاتكم سريعًا، إن عندنا عملًا هامًّا!

نوسة: ما هو؟

تختخ: ستَعرفون الآن.

محب: إنك تتصرَّف بغموض شديد! ماذا نفعل الآن؟

تختخ: سنذهب إلى البحث عن رجل غير موجود ... رجل اسمه الأستاذ «شوقي»!

عاطف: عظيم ... هذا هو الكلام ... رجل غير موجود.

تختخ: نعم ... لأنه لو وجد فسوف أكف عن حل الألغاز وأسرح بعربة لبيع الترمس.

لوزة: ما هذا الكلام يا «تختخ»!

تختخ: اتبعوني فقط ... فإننا مُشتركون في أغرب لغز في العالم!

و... حكاية «شوقي»

وصل الأصدقاء إلى شارع ٨٩، وسألوا عن المنزل ١٩ ... كان عمارة كبيرة يجلس أمامها بواب نوبي أسمر ظريف الشكل. وتقدَّم «محب» للحديث معه فسأله عن الأستاذ «شوقي».

قال البواب النوبي: الأستاذ «شوقي».

محب: نعم الأستاذ «شوقي».

البواب: أي «شوقي»؟

محب: هل يَسكُن هنا أكثر من «شوقي»؟

البواب: نعم ... هناك الأستاذ «شوقي السيد» و«شوقي بسطا» فأيهما تريد؟

تردد «محب» قليلًا ثم قال: الأستاذ «شوقي السيد»!

البواب: شقة ٧ الدور الثاني.

عاد «محب» إلى الأصدقاء الذين كانوا يقفون على الرصيف الآخر، وروى لهم الحوار الذي دار بينه وبين البواب، وقال: والآن ... ماذا نفعل؟

لوزة: نصعد إلى الأستاذ «شوقي السيد» ونسأله عن حوادث الأمس ... فإن لم يكن هو الذي ساعد الشاويش «فرقع»، يكون الأستاذ «شوقي» الثاني هو المقصود.

عاطف: ولكن بأية صفة نصعد، ماذا نقول له بالضبط؟

محب: ليست مشكلة ... سنقول له إننا من طرف الشاويش «علي».

عاطف: أنا شخصيًّا لن أصعد.

محب: سأذهب أنا ...

تختخ: وننتظرك نحن عند قمة الشارع.

وتقدم «محب» إلى العمارة بجرأته المعروفة، وسرعان ما كان يقف أمام الشقة رقم ٧ وضغط الجرس.

مرت لحظات، ثم فتح الباب وظهرت سيدة سمراء نظرت إلى «محب» مُستفسِرة، فقال «محب»: آسف لإزعاجك ... ولكني أُريد مقابلة الأستاذ «شوقي».

نادت السيدة بصوت مُرتفِع: يا أستاذ «شوقي».

وظهر الأستاذ «شوقي» ... وكان رجلًا متوسط العمر أشقر، يلبس جلبابًا أبيض ويُمسك مسبحة ... وكان يقول وهو يمر بالصالة في طريقه إلى الباب: تفضل يا أستاذ ... تفضل!

ولكنه لم يكد يرى «محب» حتى خفت حماسته قليلًا وقال: نعم، هل تُريدني حقًّا؟

محب: نعم يا سيدي ... إنني قادم من طرف الشاويش «علي»!

الرجل: الشاويش «علي»؟ الشاويش «علي»؟ من هو الشاويش «علي»؟

محب: الشاويش «علي» رئيس نقطة الشرطة بالمعادي!

وبدا التوجس على وجه الرجل وقال: وماذا يريد الشاويش «علي» منِّي؟

محب: ألم تكن معه ليلة أمس تُطاردان لصًّا؟

وقبل أن يكمل «محب» جملته رفع الرجل يده بالمسبحة واستوقفه قائلًا: أنا؟ ... لم يحدث شيء من هذا مطلقًا ... إنني لم أخرج من منزلي بالأمس ... بل إنني لا أخرج بعد عودتي من العمل إلا قليلًا جدًّا.

محب: آسف جدًّا ... يبدو أن الأستاذ «شوقي بسطا» هو المطلوب!

الرجل: إنه يسكن فوقنا مباشرة!

وأقفل الرجل الباب وصعد «محب» السلالم قفزًا، ووقف أمام باب الشقة لحظات يستردُّ أنفاسه ثم ضغط الجرس ... وفتح ولد صغير الباب وقال: ليس عندنا مكوى اليوم.

ابتسم «محب» وقال: إنني أريد مُقابلة والدك.

ترك الباب مفتوحًا، وجرى داخل الشقة مناديًا: «وجدي» «وجدي» ... وظهر ولد آخر أكبر سنًّا، وجاء إلى الباب. وسأل «محب»: ماذا تريد؟

محب: أريد أن أقابل والدك.

الولد: لماذا؟

محب: قل له إنني من طرف الشاويش «علي».

أخذ الولد ينظر باستراية إلى «محب» لحظات ثم قال له: ولكن والدي في الفراش.

وسمع «محب» صوتًا نسائيًّا يخرج من إحدى الغرف: من يا «وجدي»؟

رد «وجدي»: إنه ولد يُريد مقابلة أبي.

وظهرت سيدة يبدو عليها الحزن، وأخذت تفحص «محب» وقالت: تريد مقابلة الأستاذ «شوقي»؟

محب: نعم.

السيدة: ولكنه لا يقابل أحدًا.

محب: لماذا يا سيدتي؟

السيدة: لأنه يا ولدي مُصاب بأزمة قلبية، والأطباء منعوا عنه الزيارة، إلا إذا كانت مسألة ضرورية جدًّا.

أحس «محب» بالخجل ولكنه لم ينس أن يسأل السيدة: ألم يخرج أمس.

السيدة: لا طبعًا ... إنه منذ عشرة أيام لم يغادر الفراش مطلقًا!

أسرع «محب» ينزل السلالم مسرعًا ... ووصل الشارع واتجه إلى حيث كان الأصدقاء ينتظرونه على أحر من الجمر.

وصاحت «لوزة»: هل وجدته؟

محب: وجدتهما.

وبدت على وجه «تختخ» علامات استفهام كثيرة وقال: وجدت «شوقي» الذي كان مع الشاويش أمس؟

محب: هناك اثنان باسم «شوقي»... «شوقي» الأول لا يُغادر منزله بعد الظهر ولا يعرف الشاويش ولم يره في حياته، و«شوقي» الثاني مصاب بأزمة قلبية ولم يغادر فراشه منذ عشرة أيام.

وابتسم «تختخ» قائلًا: كما توقعت بالضبط.

نوسة: توقعت ماذا؟

تختخ: ألم أقل لكم إننا ذاهبون للبحث عن رجل غير موجود! هيا بنا إلى حديقة «عاطف»؛ فعندنا حديث طويل.

وركبوا الدراجات وانطلقوا إلى حديقة منزل «عاطف»، وعندما وصلوا إلى هناك، تحدث «تختخ» تليفونيًّا مع المفتش «سامي»، وروى له ما حدث ليلة أمس وصباح اليوم، وأملاه رقم السيارة الذي التقطه «محب» وهو ٢٢٦٨ ملاكي القاهرة ... وأثنى المفتِّش على ما قام به الأصدقاء، ثم قال: لقد وصلني تقرير الشاويش «علي» عن هذه الحوادث، وإذا كان فيه جديد فسوف أخطركم لأنني لم أقرأه بعد.

ووضع «تختخ» السماعة ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: والآن ... ما رأيكم في كل ما حدث؟ صمت الأصدقاء ينظرون إلى «تختخ» الذي عاد يقول: لقد قلت لكم إننا ذاهبون للبحث عن رجل غير موجود. فهل أدركتم الآن ما كنتُ أعني؟

لوزة: تقصد «شوقي»؟

تختخ: بالضبط، لقد كنتُ متأكدًا أن «شوقي» شخصية خُرافية لا وجود لها!

عاطف: هل تقصد أن الشاويش اخترع حكاية «شوقي»؟

تختخ: لا ... إن الشخص الذي انضمَّ إلى الشاويش في مطاردة اللص، شخص لا شك في وجوده، ولكن اسمه وعنوانه كذبتان جازتا على الشاويش وهو معذور في هذا ... ففي مثل أحداث الأمس يمكن للإنسان في لحظات التوتُّر أن يُصدِّق ما يقال له.

نوسة: ومن هو هذا الشخص إذن؟

تختخ: ببساطة جدًّا ... هو أحد أفراد العصابة!

انطلقت صيحات الدهشة من أفواه الأصدقاء، وقالت «لوزة»: إنه رجل جريء جدًّا ... لقد كان في إمكان الشاويش أن يقبض عليه.

تختخ: بأية تهمة؟ إنه رجل ساعده في مطاردة اللص، وقال إنه يَعرف الشاويش، وطبعًا الشاويش سعد جدًّا بأن هناك شخصًا يعرفه، ثم أملى الشاويش اسمه وعنوانه، وهكذا وثق فيه الشاويش.

محب: ولكن لماذا اشترك اللص في مطاردة زميله؟

تختخ: إنه لم يشترك في المطاردة، لقد اشترك في تخليص زميله من يدَي الشاويش.

عاطف: لا تنسَ أن هناك شخصًا ثالثًا هو الذي أطلق الرصاص على اللص.

تختخ: ليس هناك شخصٌ ثالث على الإطلاق.

عاطف: والذي أطلق الرصاص؟

تختخ: إنه «شوقي» المزعوم.

لوزة: إنك تتحدَّث بالألغاز يا «تختخ»!

تختخ: مطلقًا ... وسأحكي لكم الآن تصوراتي عن هذا اللغز الذي يبدو عجيبًا ... إنه لا يحلُّ لغز عصابة يوم الخميس، ولكن يحلُّ لغز الجثة الهاربة وهي لغز في قلب اللغز!

وتطلع الأصدقاء إلى «تختخ» الذي مضى يقول: كما وصف «محب» و«عاطف»، لقد ركبَتِ العصابة السيارة وفرت هاربة وتركت اللص الأخير. وكانوا طبعًا متأكدين أنه إذا قبض عليه الشاويش فسوف يعترف عليهم. ويقعون جميعًا في يد الشرطة ... فماذا كان في إمكانهم أن يفعلوا؟

ونظر «تختخ» إلى الأصدقاء، ثم مضى في حديثه: لقد قال «عاطف» إنه عندما انحنى على «محب» سمع صوت سيارة تسير ثم تقف قريبًا من مسرح الأحداث، ثم تسير مرة أخرى ... لقد كانت سيارة العصابة، فقد أنزلت أحد اللصوص ليراقب ما يحدث لزميله، فلما شاهد الشاويش يطارد زميله، كانت فكرة ذكية منه أن يتظاهر بأنه يساعد العدالة ويشترك في المطاردة، وبالطبع كان سيتدخل إذا قبض الشاويش على زميله، وفي إمكانهما معًا أن يتغلبا على الشاويش ... وهكذا جرى اللص وخلفه الشاويش و«شوقي» المزعوم، ولما وجد اللص أنه تعب من الجري، ووجد نفسه قريبًا من «الفيلا» التي سرقوها أسرع يَختبئ فيها.

قاطعته «نوسة» قائلة: هل تظنُّ أن العصابة سرقة «فيلتين» في الليلة نفسها؟

تختخ: طبعًا لقد سرقت «الفيلا» الأولى التي لجأ إليها اللص، ثم ذهبوا لسرقة «الفيلا» الثانية حيث كان «محب» و«عاطف» يراقبان. والدليل على أنهم سرقوا «الفيلا» الأولى أن اللص لجأ إليها ... فقد كان يعرف أن الباب مفتوح، وأنه ليس فيها أحد ... ولو كان منزلًا عاديًّا مسكونًا لما لجأ إليه!

محب: معقول جدًّا!

تختخ: دخل اللص ... ودخل الشاويش خلفه يتبعه «شوقي» المزعوم ... وصعدا إلى الدور الثاني حيث حاول اللص الاختباء في إحدى الغرف ... وشاهد اللص أولًا الشاويش ... ثم خلفه زميله ... وأدرك بالطبع أن هناك محاولة لإنقاذِه ... وسكت «تختخ» لحظات ثم قال: أريدكم أن تتصوروا ما حدث ... فهناك عدة احتمالات ...

ونظر إليهم فوجدهم جميعًا في غاية الانتباه إليه فقال: الآن ... اللص في الغرفة ظهره إلى الحائط ووجهه إلى الباب ... الشاويش يدخل ... وجهه إلى اللص وظهره إلى «شوقي» ... هل هذا واضح؟

نوسة: واضح جدًّا.

تختخ: يُخرج «شوقي» مسدسه وطبعًا الشاويش لا يراه، ثم يطلق النار على زميله ويذهل الشاويش لحظات أمام طلقات الرصاص من ناحية وسقوط اللص صريعًا من ناحية أخرى، وكان ذلك وقتًا كافيًا لـ «شوقي» كي يخفيَ المسدَّس ... ويجري متظاهرًا بأنه يطارد الرجل الذي أطلق الرصاص ... هل هذا معقول؟

قال الأصدقاء في نفس واحد تقريبًا: معقول جدًّا ...

وابتسم «تختخ» معجبًا بنفسه ثم مضى يقول: ويجري الشاويش للإمساك بالرجل الذي أطلق الرصاص، ويجد «شوقي» واقفًا أمام الباب مُتظاهِرًا بالحيرة ... في أيِّ اتجاه

جرى الرجل الذي أطلق النار؟ ثم يتفقان على أن يلفا حول «الفيلا» كل واحد في اتجاه مختلف ... ويلتقيان خلفها ويتحدثان. وفي هذه الفترة يكون اللص الذي أطلق عليه الرصاص وحده ... واضح؟

قال الأصدقاء: واضح.

ولكن «محب» يقول: هناك نقطة هامة ... ألم يلفتْ صوت الرصاص انتباه أحد؟

تختخ: هذا شيء لا أعرفه الآن ... ولكن لعلكم لاحظتم أن «الفيلا» بعيدة عن بقية المساكن بمسافة طويلة ... والناس نيام ... فالساعة كانت الثانية تقريبًا بعد منتصف الليل ... وحتى لو استيقظ شخص على صوت الطلقات فلن يعرف مصدرها ... وحتى لو تصورنا أن شخصًا خرج للبحث عن مصدر الطلقات فهل سيذهب إلى الاتجاه الصحيح؟

ورد على نفسه قائلًا: في الغالب لا ...

وقالت «لوزة»: المهم الآن ... أين ذهبت الجثة؟

ابتسم «تختخ» قائلًا: وهل كانت هناك جثة؟

وفتح الأصدقاء أفواههم دهشة وعجبًا.

الشاويش مرة أخرى!

قال الأصدقاء في نفس واحد تقريبًا: كيف؟ لقد قال الشاويش إنه سمع الرصاصات الثلاث، ثم شاهد اللص وهو يترنَّح ويسقط على الأرض.

قال: «تختخ»: معكم كل الحق ... ولكن السؤال هل فحص الشاويش اللص وتأكَّد أنه أصيب بالرصاصات الثلاث؟

رد «عاطف»: لا ... لقد خرج لمطاردة الذي أطلق الرصاص، وعندما عاد لم يجد الجثة.

تختخ: وهذا يعني أنه لم يتأكَّد أبدًا أن اللص قد قتل؟

نوسة: والرصاص؟

تختخ: الحقيقة أنه كانت في ذهني هذا الصباح فكرتان.

وسكت لحظات يستجمع ذهنه ثم مضى يقول: طبعًا استبعدت تمامًا حكاية الجثة الهاربة ... فليس هناك جثث تتحرَّك وتهرب إلا في أفلام الرعب ... طبعًا كلام فارغ ... إذن كان أمامي احتمالان؛ الأول أن يكون اللص قد أصيب فقط، واستطاع أن يتحامل على نفسه ويهرب، والثاني أن يكون اللص لم يصب على الإطلاق ... وعندما ذهبنا اليوم إلى «الفيلا» بحثت الاحتمال الأول وفحصت أرض الغرفة التي جرت فيها أحداث هذه القصة المثيرة ... ولم أجد أثرًا لدماء على الإطلاق ... ثم بحثت عن آثار الطلقات ... ربما تكون قد أصابت الحائط أو سقطت منها واحدة على الأرض ولكني لم أجد شيئًا ... ثم خرجت وبحثت في الأرض الفضاء التي حول «الفيلا» باحثًا عن آثار اللص المصاب فلم أجد شيئًا ... كما أني فحصت السلالم والطرقات فلم يكن هناك أثر ... ومعنى هذا أن الاحتمال الأول غير صحيح. ويبقى الاحتمال الثاني ... وهو أن اللص لم يُصَب ... فماذا حدث إذن؟ من

الممكن أن يكون الرصاص الذي أطلق هو رصاص «فشنك» أي رصاصٌ بلا رأس … فكما تعرفان بأن الرصاصة تتكون من جزأين؛ جزء أجوف به البارود، ومركب عليه جزء صلب هو الذي يندفع ويُصيب الهدف … فإذا نزعنا الرأس، وأغلقنا الجزء الذي به البارود، فهو يفرقع كالرصاص الحقيقي بالضبط … ولكن تأثيره لا يزيد على إحداث صوت الانطلاق فقط …! وهو ما يسمونه الرصاص «الفشنك» … ولكني استبعدت هذا الحل؛ فمن غير المعقول أن يكون اللص قد استعد بهذا الرصاص لهذا الموقف، لأنه لم يكن يعرف طبعًا أنه سيحدث … وعدت إلى فكرة … إنه سيطلق الرصاص ولكن لا يصيب زميله ولكن ليخرج الرصاص من النافذة المفتوحة، أي يمر بجواره فقط.

نوسة: ولكنه ترنح وسقط على الأرض.

تختخ: إنها حركة تمثيلية بسيطة يمكن أن يقوم بها أي شخص … حتى الأطفال الصغار يقومون بها في منتهى البراعة … وقد فهم اللص عندما شاهد المسدس الذي في يد زميله أنه سيطلق عليه الرصاص ولكن لن يصيبه، وعرف أن عليه أن يتظاهر بأنه أصيب … وقد فعلها … وعندما جرى الشاويش للبحث عن الذي أطلق الرصاص … أطلق اللص «القتيل» ساقيه للريح وخرج من «الفيلا». وعندما عاد الشاويش و«شوقي» المزعوم للبحث عنه ولم يجداه أدرك «شوقي» أن خطته قد نجحت، فأعطى الشاويش اسمًا زائفًا، وعنوانًا لا يسكن فيه، وهكذا انتهت القصة الظريفة …

لوزة: ولكنك لم تعثر على الرصاص في الحديقة!

تختخ: من المؤكد أنه موجود. ولكنه مختفٍ في الحشائش التي تُحيط بالمنزل.

محب: إن هذه الحوادث حذرت العصابة. فسوف تكون أكثر حذرًا، بل لعلها ستتوقف عن أسلوب السرقات الحالي، وتلجأ إلى وسيلة أخرى.

تختخ: أعتقد أننا لم نَخسَر كل شيء.

محب: كيف؟

تختخ: عندنا أولًا السيارة التي كانت تركبها العصابة. وهناك شيء آخر …

قالت «لوزة» بلهفة: ما هو؟

تختخ: شيء قاله «محب» ونسيناه في وسط الزحمة … ذلك الرجل الذي نزل من سيارة العصابة وكان يُسنده شخصان حتى باب «الفيلا». ثم عاد بعد ذلك إلى السيارة … ألم يَلفِت نظركم هذا؟

سكت الأصدقاء وأخذوا يتذكروا ما قاله «محب»، ثم قال «تختخ»: والآن يا «محب» ما دمت أنت الذي رأيته ... قل لنا ... ماذا أحسست عندما رأيته؟

فكر «محب» قليلًا ثم قال: لا أدري ... ربما كان أكثر ما أحسستُ به ... أنه رجل عجوز.

لوزة: عجوز! ولكن لماذا تأخذ عصابة للسرقة معها رجلًا عجوزًا لا يستطيع السير؟ إن اللصوص عادة خفاف الحركة.

تختخ: هذا ما فكرت فيه بالضبط ... ما هي حكاية هذا الرجل؟ ولماذا — فعلًا — تأخذ عصابة معها رجلًا عجوزًا أو مصابًا؟

نوسة: شيء مُحيِّر!

تختخ: هناك شيء واحد ... أن تكون العصابة في حاجة إليه ... ألا يكون في استطاعتها الاستغناء عنه!

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون ... وكان المتحدث هو المفتش «سامي»، وتحدث قائلًا: إنهم وجدوا السيارة التي التقط رقمها «محب»، وقد وجدت أمام مستشفى «قصر العيني» واتضح أنها مسروقة ... سرقتها العصابة لتقوم بعملية السطو بها، ثم تركتْها هناك.

تختخ: وهل عرفتم صاحبها؟

المفتش: نعم ... إنه طبيب بمستشفى «قصر العيني» ... وقد اكتشف سرقتها بالصدفة.

تختخ: بالصدفة ... كيف؟

المفتش: كان عنده «نوبتجية» في المستشفى، وعادةً يترك سيارته بجوار المستشفى، ولا يخرج إلا في الصباح، ولكن تصادف أن أمرًا عاجلًا في منزله استدعى خروجه قرب منتصف الليل. فلم يجد سيارته ... وأبلغ عنها ... وفي الصباح وجدناها مكانها.

تختخ: شيء عجيب!

المفتش: للأسف إنه أسلوب بعض الشباب المنحرفين ... يأخذون السيارات للنزهة بها ثم يتركونها مهجورة في أماكن بعيدة.

تختخ: ولكنهم في هذه المرة أعادوها إلى مكانها.

قال المفتش ضاحكًا: ربما كان عندهم بعض الذوق فقط!

وانتهت المكالمة ... والتفت «تختخ» إلى الأصدقاء وروى لهم حديثه مع المفتش «سامي»، فقال «عاطف» معلقًا: لا جديد؟

فرد «تختخ» وهو مُستغرق في تفكير عميق: من يدري؟

شاهدوا الشاويش «فرقع» قادمًا على دراجته ... كان وجهه يتصبَّب عرقًا وقد بدا عليه الإجهاد الشديد.

أسند الشاويش دراجته ودخل بخطوات متعثرة على الأصدقاء، ثم ألقى بنفسه في أقرب مقعد وقال: شيء لا يصدق ... جريمتا سرقة في ليلة واحدة ... ومطاردة في الظلام ثم ينتهي كل شيء ولا أحصل على أية معلومات؟!

قال «تختخ»: وبالمناسبة يا حضرة الشاويش. أحبُّ أن أقول لك إننا ذهبنا للبحث عن الأستاذ «شوقي»، وقد وجدنا اثنين باسم «شوقي» في العنوان الذي أعطيته لنا.

ونسي الشاويش ما هو فيه وقال بصوت مُحتقن: ها أنتم تعودون إلى التدخُّل في عملي مرة أخرى ... إنني سوف ...

ولكن «تختخ» رفع يده قائلًا: آسف جدًّا يا شاويش. اعتبر أننا أخطأنا، ولن نعود للتدخل مرة أخرى ... بل اعتبر أننا لا دخلَ لنا مُطلقًا بهذه العصابة التي استطاعت أن تسرق عدة مرات بدون أن تصل حتى إلى دليل واحد عنها.

أحنى الشاويش رأسه ثم قال: إنني مُتضايق جدًّا ... إنني لا أصدق ما يحدث ... إن الكوارث تنهال على رأسي ولا أدري ماذا أفعل.

تختخ: إننا نرجو أن تُحدِّد لنا ما تريد منا الآن.

تردد الشاويش لحظات ثم قال: إنني فقط ... أقصد أنني ... أعتقد أنكم ربما وصلتم إلى شيء ...

تختخ: لقد وصلنا فعلًا.

أشرق وجه الشاويش قائلًا: عظيم ... إلى أي شيء وصلتم؟

تختخ: لقد وصلنا إلى أن الأستاذ «شوقي» الذي اشترك في المطاردة معك لا وجود له على الإطلاق.

ذُهل الشاويش وعاوده عبوسه وقال: كيف؟ ... لقد قلت منذ لحظات إنكم وجدتم «شوقيَّين» لا واحدًا فقط.

تختخ: تمامًا ... ولكن كلاهما ليس «شوقي» الذي اشترك معك في المطاردة ... فالأول واسمه «شوقي السيد» قال إنه لا يخرج من منزله ليلًا إلا نادرًا ... وإنه لا يعرفك ... ولم يشترك معك في أية مطاردة.

الشاويش: والثاني؟

تختخ: والثاني مُصاب بأزمة قلبية، ولم يُغادر فراشه منذ عشرة أيام، ولو جرى عشر خطوات فقط ... لسقط من طوله ميتًا.

فتح الشاويش فمه في ذهول وهو يستمع إلى «تختخ»، وكانت أنظار بقية الأصدقاء تَرقُب الحوار بين الاثنين ... وشاهد انعكاسات حديث «تختخ» على وجه الشاويش.

قال الشاويش بعد لحظات: هل تقصد؟ ...

قال «تختخ» أقصد بالضبط ما قلتُه لك ... وأكثر من هذا أننا نعتقد أن «شوقي» الذي اشترك معك في المطاردة ... عضوٌ في العصابة التي أطلقنا عليها اسم «عصابة يوم الخميس».

لم تعد أعصاب الشاويش تَحتمِل، فقفز من مكانه كالملسوع قائلًا: إنكم لا تفهمون شيئًا ... إنكم لستم مُغامِرين ولا أي شيء ... إنكم تضحكون عليَّ ... لقد قال لي «شوقي» إنه يعرفني!

تختخ: المهم هل تعرفه أنت؟ هل سبق لك أن رأيته أو تعاملت معه؟

رد الشاويش في ضيق: لا ...

تختخ: آسف جدًّا يا شاويش ... فقد كنتَ ضحية خدعة ... ونحن على كل حال لا نلومك ... فأي شخص في موقفك كان سيقع في الخطأ نفسه.

استرد الشاويش بعض هدوئه وقال: إذن كان اللص الأول في يدي واختفت جثته ... وكان اللص الثاني في يدي وتركته.

تختخ: النصف الثاني من حديثك صحيح ... أما النصف الأول الخاص بالجثة فلنا فيه رأي مختلف ... وإذا تفضَّلت بالاستماع لي لحظات قليلة فسوف اشرح لك وجهة نظري ... حتى تتمَّ تحقيقاتك حول الحادث، وعندك كل الحقائق الخاصة بهذه العصابة ... أو بالتحديد ما حدث بالأمس.

وقيامًا بواجب الضيافة قالت «لوزة»: هل تحبُّ أن تشرب كوبًا من الشاي ... أو من عصير الليمون؟

رد الشاويش: شاي لو سمحت ...

وأخذ «تختخ» يعيد مع الشاويش الاستنتاجات التي رواها للأصدقاء ... وفم الشاويش يفتح ويغلق بين كلمة وأخرى ... ومنديله يدور مُجفِّفًا العرق الغزير الذي كان يسيل على وجهه وهو يسمع الاستنتاجات العجيبة التي توصَّل إليها «تختخ»، والتي كانت منطقية تمامًا.

وعندما انتهى «تختخ» من سرد استنتاجاته ... كان الشاويش يُمسك بكوب الشاي الذي أحضرته «لوزة» وقد استغرق في تفكير عميق.

وكان لا بد أن تمضي دقائق طويلة حتى يستطيع الشاويش أن يَبتلِع هذه الحقائق كلها.

قال «تختخ»: والآن يا شاويش … إننا نريد ملاحظاتك على كلٍّ من اللص الهارب و«شوقي»، وسنُطلِق عليه هذا الاسم حتى نصلَ إلى معرفة اسمه الحقيقي.

فكر الشاويش لحظات ثم قال: ملاحظات؟ … ليس لي ملاحظات، إلا أن اللص الهارب كان يجري كالشيطان، وكأنه بطلٌ في الجري.

تختخ: ملاحظة لا بأس بها … وهل تذكر أوصافه؟

الشاويش: طبعًا … فقد شاهدته وهو في الغرفة … وبرغم أن الضوء لم يكن كافيًا إلا أنني أتذكر أنه كان قصير الشعر … له شارب يُخفي أغلب فمه … وقد لاحظت شيئًا عجيبًا …

وانتبه الأصدقاء جميعًا وقال الشاويش: عندما دخلت الغرفة … وجدته حافيًا!

عاطف: حافٍ! يا له من لص مسكين ليس معه ما يكفي لشراء حذاء.

أشار «تختخ» لـ «عاطف» حتى لا يَسترسِل في سخريته، وقال «تختخ»: ملاحظة هامة للغاية يا شاويش … ولكن هل عندك تعليل لها؟

الشاويش: لا أدري في الحقيقة!

نوسة: أعتقد أنه لم يذهب للسرقة وهو حافٍ … ولكنه تخلص من حذائه في الطريق ليكون أسرع في الجري.

تختخ: استنتاج معقول جدًّا … ومعنى ذلك أن الحذاء مُلقًى في مكانٍ ما بين «الفيلا» الأولى والثانية، فهل تذكر يا شاويش الطريق الذي مررتما به في أثناء الجري؟

الشاويش: طبعًا أذكره … فليس هناك مكان في المعادي لا أحفظه كما أحفظ الطريق إلى مسكني.

تختخ: و«شوقي» المزعوم … هل لك عليه ملاحظات؟

الشاويش: لا شيء مهم … شاب متوسط القامة … حاد الملامح … بارز الأسنان قليلًا … ولكن هناك شيء غريب فيه.

ومرة أخرى انتبه الأصدقاء إلى الشاويش الذي قال وهو يهز رأسه: ليس فيه بالضبط … ولكن في الجو الذي يحيط به … فعندما وقفنا نتحدث معًا شممت رائحة عجيبة … ليست عطرًا بالتأكيد … فهي ليست رائحة طيبة … إنها رائحة تُذكِّرُني بشيء ما.

قال «تختخ» يستحثه: تُذكِّرك بماذا يا شاويش؟

أخذ الشاويش يحك رأسه ثم قال: لا أذكر ... إنها تذكرني بمكان كنت فيه لفترة من الوقت!

تختخ: أي مكان يا شاويش؟ حاول أن تتذكر.

هز الشاويش رأسه وقال: لا أذكر ... إنني مرهق ... ربما تذكرت فجأة ... أما الآن فإنني لا أستطيع ...

دور لـ «زنجر»

قال «تختخ»: بدلًا من ضياع الوقت هيا نبحث عن الحذاء.

نوسة: هل تتوقَّع أن نجده؟

تختخ: نعم، وعلى كل حالٍ لا بأس من المحاولة.

عاطف: وما أهمية هذا الحذاء؟ إنني فكرت فيه فلم أجد أنه سيكون ذا أهمية كبيرة.

تختخ: تستطيع أن تبقى أنت، وسنذهب نحن ... إن أصغر دليل في لغز قد يكون أهم دليل ... ثم إنني بدأت أكوِّن فكرةً ما عن هذا اللغز أو عن عصابة يوم الخميس ... وبالمناسبة سنمرُّ بمنزلنا لنأخذ «زنجر» معنا ... فلا بد أن يكون له دور في هذه المغامرة، وهذا هو الدور الوحيد الآن.

وركبوا الدراجات ... وعندما اقتربوا من منزل «تختخ» وقف الشاويش بعيدًا وقال: هذا الكلب ... إنني ...

تختخ: لا تخف يا شاويش ... إن «زنجر» ... يفهم متى يكون جادًّا، ومتى يحبُّ الهزار معك ... إنه سيحسُّ هذه المرة أننا نعمل معًا.

وأسرع «تختخ» يضع «زنجر» في سلته خلفه، وانطلقوا إلى أطراف المعادي حيث تقع «الفيلا» ... وعندما أصبحوا أمامها نزلوا جميعًا، وبدءوا السير على أقدامهم، وخلع «تختخ» فردة حذائه وقال لـ «زنجر» وهو يشير له بها: اسمع يا «زنجر» نُريد العثور على حذاء ... حذاء ... هل تفهم؟

وأشار «تختخ» بالحذاء بضع مرات لـ «زنجر» الذي أخذ ينظر إليه وهو يهز ذيله ... ثم نبح نبحة واحدة كأنما يقول له: فهمت!

وساروا حسب ما قال الشاويش ... من شارع إلى شارع ... ومن حديقة إلى حديقة؛ فقد قفز اللص عدة أسوار وهو يجري وخلفه الشاويش ... وكان المغامرون الخمسة ينتشرون وهم منحنون على الأرض حتى لفتوا أنظار المارة إليهم.

فقال أحد الواقفين: ما هي الحكاية؟ هل يبحثون عن إبرة في الرمل؟

ورد «عاطف» بلسانه السليط: لا يا سيدي ... إننا نبحث عن البترول.

وانسحب الرجل مسرعًا بعد أن وجد من هو أطول منه لسانًا ... وفجأةً بجانب أحد الأسوار قفز «زنجر» بين الحشائش وخرج بفردة حذاء ... وأسرع إلى «تختخ» الذي تناولها، وأخذ يفحصها وقد التفَّ حوله الأصدقاء والشاويش، وقال «تختخ»: إنها فردة طازجة إذا صحَّ هذا التعبير، لم يمض وقت طويل عليها في هذا المكان، فهي طرية أولًا، وليس عليها أتربة ثانيًا.

لوزة: إنها ليست حذاءً بالضبط، إنها نوع من الأحذية المطاط التي يستخدمها الرياضيون.

نوسة: لقد قال الشاويش إنَّ الرجل كان يجري بسرعة كأنه من أبطال سباق الجري.

هز «تختخ» رأسه وأشار إلى بقعة حمراء بدت واضحة على وجه الحذاء: هذه البقعة ... ما هي بالضبط؟

وتقاربت الرءوس تفحص البقعة، ولكن «تختخ» قال: فلنبحث عن الفردة الثانية. إنَّ مهمة «زنجر» ستكون أسهل.

وقبل أن يُكمل جملته كان «زنجر» قد عاد بالفردة الأخرى، فقال «تختخ»: «برافو» «زنجر»، طبعًا ما دمتَ قد شممت الفردة الأولى فمن السهل أن تجد الفردة الثانية.

وفحص «تختخ» الفردة الثانية ثم سلَّم الفردتين إلى الشاويش قائلًا: هل انتهيتم من رفع البصمات يا حضرة الشاويش؟

الشاويش: نعم ... منذ الصباح الباكر حضر الخبراء لهذه المهمة ... ولكن لقد نسيت أن أقول لكم ... ليست هناك بصمات ... ومن الواضح أن العصابة حَذِرة؛ فقد مسحوا كل البصمات فلم نجد بصمة واحدة.

تختخ: غير معقول ... إنهم في منتهى البراعة، على كل حالٍ أرجو يا شاويش أن تُرسل هذا الحذاء إلى المعمل الجنائي، نُريد أن نعرف مقاسه ... وأهم من هذا أن نعرف هذه البقعة الحمراء ... هل هي دماء أو شيء آخر؟

الشاويش: إنني ذاهب لمقابلة المفتش «سامي» لأتحدث معه حول التقرير الذي أرسلته؛ فهو مشغول ولم يحضر ... وسوف أسلمه الحذاء كدليل.

تختخ: إنه دليل هام.

عاطف: ما زلتُ مُصرًّا على أنه لا قيمة له ... فهناك آلاف الأحذية من هذا النوع ... ولا نستطيع أن نسأل البائع عن الذي اشتراه.

تختخ: لن نسأل أحدًا ... ولكن هذا النوع من الأحذية والبقعة الحمراء التي عليه قد يؤديان إلى شيء هام.

لوزة: ولكن ... لماذا خلع الرجل الحذاء؟ ... إنه خفيف يساعد على الجري!

تختخ: هذه ملاحظة ذكية جدًّا يا «لوزة» ... وقد فكرت فيها بمجرد أن رأيت الحذاء ... وسأشرح لك ما فكرت ... إن هذا النوع من الأحذية — إذا كان قديمًا واستخدم فترة طويلة كهذا الحذاء — يُصبح مشكلة بعد الجري به فترة طويلة ... وبخاصة في الحر، فسرعان ما يتجمَّع فيه العرَقُ فيُصبح لزجًا يَصعُب الجري به ... وقد انتهز اللص فرصة صعودِه إلى السور وخلعه، ولهذا وجدناه بجوار السور.

وعاد الأصدقاء وقد اشتدت حرارة الشمس، وغادرهم الشاويش في طريقه إلى مكتبه ثم إلى «القاهرة» ليُقدِّم تقريره إلى المفتش «سامي».

تفرق الأصدقاء وعاد كلٌّ منهم إلى منزله، وجلس «تختخ» في غرفته وقد أغلق النافذة اتقاء الحر ... وتمدد على الفراش ووضع يديه خلف رأسه وأخذ يفكر ... كان يحس أن ثمة رابطة ما بين عدد من الأحداث التي وقعت مؤخرًا ... ولكن ذهنه لا يستطيع الربط بينها ... إن هناك حلقة ناقصة في السلسلة.

وفجأة قفزت إلى ذهنه فكرة ... سيارة الطبيب التي أخذتها العصابة ليلًا لاستخدامها في السرقة ثم أعادتها إلى مكانها ... إن عصابات الشبان كما يقول المفتش «سامي» تأخذ السيارة للنزهة بها ثم تتركها في أيِّ مكان ... فلماذا أعادت العصابة السيارة إلى مكانها نفسه؟ إن هذا بالطبع يعني أن العصابة لا تريد أن يَكتشِف أحد أنها أخذت السيارة ... ولكن كيف تعرف أن صاحبها لن يكتشف سرقتها ليلًا؟ الإجابة الوحيدة أن العصابة تَعرف أن صاحب السيارة لن يخرج بها ليلًا! معقول جدًّا ... هكذا أخذ «تختخ» يحدث نفسه، ثم مضى في استنتاجاته ... سؤال وجواب.

السؤال الثاني هو: وكيف تعرف العصابة أن صاحب السيارة لن يخرج بها ليلًا؟

جواب: لأنها تعرف صاحب السيارة ... تعرف أنه سيكون مرتبطًا بمكانه ومشغولًا بعمله حتى الصباح ... وهذا يعني أن العصابة تعرف الدكتور صاحب السيارة.

وقفز «تختخ» من فراشه، وأسرع يتصل بالمفتش «سامي» وحكى له استنتاجاته.

فقال المفتش: وإلى أيِّ شيء يقودنا هذا الاستنتاج؟

تختخ: إن العصابة قريبة من مُستشفى «قصر العيني» ... وتعرف الدكتور.

المفتش: ولكن هناك عشرات الأماكن وآلاف الناس حول «قصر العيني»، فمن أين نبدأ؟

تختخ: أريد أن أعرف ما إذا كانت هناك سيارة طبيب آخر، أو حتى الطبيب نفسه قد سرقت من قبل.

المفتش: هذا سهل عن طريق قسم مكافحة سرقة السيارات، وسأتصل بك بعد دقائق.

وجلس «تختخ» بجوار التليفون، وهو يستكمل استنتاجاته، كان يُحسُّ أنه قريب من نقطة هامة ... ربما تؤدي إلى حل لغز عصابة يوم الخميس ... ومضت دقائق ودق جرس التليفون، وكان المتحدث هو المفتش «سامي» ... وتلهَّف «تختخ» لسماع الأخبار، ولكن سرعان ما انطفأت حماسته عندما سمع المفتش يقول: خلال الفترة الأخيرة لم تُسرَق أيَّة سيارة من سيارات الأطباء.

وأحس «تختخ» بالضيق؛ فقد خشي أن تكون أفكاره كلها خاطئة ... وكان يسمع المفتش على الطرف الآخر وهو يقول له: ما رأيك؟ هل تريد استفسارات أخرى؟

وفجأة خطر له خاطر عجيب فقال للمفتش: نعم ... هناك استفسار ولكن تحقيقه صعب نوعًا ما.

المفتش: ما هو؟

تختخ: أريد أن أعرف ... هل لاحظ بعض أطباء المستشفى ممَّن يملكون سيارات نقصًا في كمية البنزين في سيارته عندما تركها أمام المستشفى في أي يوم من الأيام وبخاصة يوم الخميس. أي صباح الجمعة؟

المفتش: إنها مسألة صعبة.

تختخ: ولكنها قد تحلُّ لغز عصابة يوم الخميس وتُؤدِّي إلى القبض على أفراد العصابة!

المفتش: سوف أرسل أحد رجالي للاستفسار. وقد حضر الشاويش وأرسلت الحذاء إلى المعمل الجنائي، والشاويش حاليًّا يقوم بفحص صور المشبوهين، لعله يتعرف على أحد اللصين اللذين شاهدهما.

تختخ: أرجو ذلك ... وإن كنتُ أعتقد أنه لن يجد شيئًا.

المفتش: سنحاول ... وسنكون عندنا نتيجة التحليل هذا المساء.

وانتهت المكالمة وعاود «تختخ» الاستلقاء على فراشه ... وهو يعيد ترتيب الحوادث ... وبدون أن يدري استغرق في النوم.

عندما اجتمع الأصدقاء ذلك المساء ... دار بينهم حديث طويل حول لغز العصابة التي كادت تقع ببساطة بدون ألغاز ولا مشاكل، لولا أن الشاويش خُدع، واستطاع اللصان الإفلات من يده ببساطة.

فقالت «لوزة»: على كل حال ... لقد أصبح عندنا لغزٌ نعمل فيه بدلًا من الركود والكسل ... وضحك الأصدقاء، وقال «عاطف» مُعلِّقًا: لقد كنتِ على استعداد لتهريب اللصَّين حتى يُصبحَ لديكِ لغز!

أما «تختخ» فقد جلس ساكتًا يُفكِّر، فقال «محب»: ما لك يا «تختخ»؟ إنك تبدو كأنك لا تجلس معنا.

وأفاق «تختخ» من تأملاته، وأخذ ينظر إلى «محب» متأملًا، قال «عاطف» معلقًا: يبدو أنك تراه لأول مرة!

تحدث «تختخ» أخيرًا فقال: في الحقيقة أني مشغول بعدة أشياء يَربِط بينها خيط. ولكني لا أجد هذا الخيط.

اهتم الأصدقاء بحديث «تختخ»، وقالت «نوسة»: أخبرنا بهذه الأشياء؛ فقد نجد نحن الخيط.

تختخ: رجل ينزل من سيارة يسندُه شخصان، حذاء مطاط عليه بقعة حمراء، سيارة مسروقة من أحد الأطباء، رائحة مجهولة!

أخذ الأصدقاء يُفكِّرون ... وقالت «لوزة»: إنني أذكر الرجل العجوز الذي شاهده «محب» ينزل من سيارة اللصوص. والحذاء المطاط الذي خلعه اللص ... والسيارة المسروقة ... ولكن ماذا تقصد بالرائحة المجهولة؟

تختخ: الرائحة التي كان يشمُّها الشاويش عندما وقف بجوار «شوقي» المزعوم.

لوزة: تذكرت ... ولكن هل هي رائحة عطرية؟

تختخ: لا، لقد قال الشاويش إنها ليسَت رائحة طيبة.

لوزة: إذن فرائحة أي شيء تكون؟

تختخ: رائحة مكان ... هكذا قال الشاويش «فرقع».

ولم يكد «تختخ» يذكر اسم الشاويش ... حتى ظهر داخلًا من باب الحديقة وقد بدا عليه الإجهاد الشديد ... وسلَّم عليهم وجلس ... ثم قال متضايقًا: لم أعثر بين صور المجرمين واللصوص والمشبوهين على صورة ذلك المدعو «شوقي» أو اللص الآخر.

تختخ: كنت أتوقع هذا ... والمُهم يا شاويش ... ما هي نتيجة تحليل البقعة الحمراء التي وجدت على الحذاء؟

الشاويش: قال المعمل الجنائي إنها بقعة من «المركروكروم».

وهبَّ «تختخ» واقفًا عند سماع هذه الكلمة كأنما مسه تيار كهربائي، ونظر إليه الأصدقاء في دهشة شديدة، وقال «تختخ»: تذكر يا شاويش «علي» ... هل الرائحة التي شممتَها من «شوقي» المزعوم هي رائحة دواء ... أقصد بالضبط رائحة مُستشفى؟ وقال الشاويش وهو يخبط رأسه: تمامًا ... كيف عرفت؟

رد «تختخ»: الآن أيها الأصدقاء ... لقد وجدت الخيط الذي يَربط بين كل هذه الحلقات ... العجوز ... والبقعة الحمراء والسيارة المسروقة ... والرائحة المجهولة!

ثلاثة في المستشفى

قال «تختخ»: لا تسألوني الآن عن توضيح أفكاري ... إن أمامنا عملًا عاجلًا جدًّا ... هاتي التليفون يا «لوزة».

أسرعت «لوزة» تُحضِر التليفون، وقال «تختخ» مُحدِّثًا «عاطف»: هل تستطيع يا «عاطف» التظاهر بأنك مريض جدًّا، ودرجة حرارتك مُرتفعة؟

قال «عاطف» بدهشة: أستطيع طبعًا التظاهر بأنني مريض ... ولكن كيف أرفع درجة حرارتي؟

«تختخ» في أسف: بالطبع لا تستطيع. ولكن تستطيع التظاهُر بالمرض.

عاطف: لقد سألتني وقلت لك إن هذا ممكن، ولكن لماذا؟

تختخ: لأنك ستدخُل المستشفى الليلة.

بدا على الأصدقاء الدهشة الشديدة، وقام الشاويش «فرقع» واقفًا وهو يقول: ما هذا الذي أسمعه؟! إن هذا كلام مجانين ... سأمشي فورًا.

تختخ: آسف يا شاويش ... ولكن ستكون مريضًا أنت الآخر ... مريض جدًّا ورأسك مربوط بالشاش والقطن.

الشاويش: لا يُمكن ... ماذا حدث في هذه الدنيا؟ أنا مريض ومربوط بالشاش والقطن؟! هذا فأل سيئ لا أقبله.

تختخ: اسمع يا شاويش ... لقد وضعنا العصابة بين يديك ولكنها هربت منك.

صاح الشاويش منفجرًا: لقد ... لقد ... ولكنَّك لا تحاسبني ... ولا تُعلِّمني مهنتي ... إنهم لصوص مجرمون ... إنهم ...

رفع «تختخ» يده قائلًا: هل تريد أن يكونوا لصوصًا طيبين ظرفاء يقعون في يديك بدون تعب؟

استمر الشاويش في ثورته: إنني أقصد …

تختخ: اسمع يا شاويش «علي» … من فضلك لا تضيع وقتًا … اذهب بسرعة إلى منزلك، وغير ملابسك بملابس عادية، وخذ معك من أقرب صيدلية بعضَ القطن والشاش واربط رأسك ولا تُظهِر سوى عينيك فقط … فلستُ أريد منك سوى عينيك!

الشاويش: ولكن لماذا؟

تختخ: لا تسألني الآن … سأشرح لك كل شيء في الطريق وسأتصل الآن بالمفتش «سامي» لأطلب منه مساعدتي في تنفيذ خطتي.

ما كاد الشاويش «فرقع» يسمع اسم المفتش «سامي» حتى أدرك أن المسألة جد وليست هزارًا من الأصدقاء، فأسرع يغادر الحديقة وهو يتخيل الأحداث المقبلة فلا يجدُ ما يُعلِّل به حكاية القطن والشاش.

كانت «لوزة» قد أحضرت التليفون، فأمسك «تختخ» بالسماعة، واتصل بالمفتش «سامي» وقال له: إنني أرجو أن تُقدِّم لنا خدمة!

المفتش: خيرًا!

تختخ: أريد أن تُهيِّئ لي أنا و«عاطف» والشاويش دخول مستشفى «قصر العيني» كمرضى!

المفتش: مرضى! ولكن لماذا؟

تختخ: لأنني أشكُّ أن عصابة يوم الخميس مقرها المستشفى.

المفتش: هل أنتَ مريض فعلًا!

تختخ: دعني أُجرِّب يا سيدي ولن تخسر شيئًا إذا اتَّضح أنها ليست صحيحة!

المفتش: إذا كانت الفكرة معقولة … فلماذا لا تدعنا لنفتش المستشفى ونقبض على العصابة!

تختخ: لا أوافق لعدة أسباب … أولًا أنني لستُ متأكدًا تمامًا … ثانيًا أن تفتيش هذا المستشفى الكبير يستدعي وجود عدد ضخم من رجال الشرطة، مما يَلفت نظر كل مَن في المستشفى، وقد تتمكن العصابة من الهرب … ثالثًا قد أكون مريضًا فعلًا كما تقول!

ضحك المفتش قائلًا: لا بأس … سأتحدث مع مدير المستشفى ليقبلكم كمرضى!

تختخ: آسف يا سيدي المفتش … إننا نَشغلُكَ بأفكارنا المضحكة!

المفتش: لا بأس … قد تؤدي إلى شيء!

تختخ: إنني أقتبس هذه الخطة منك؛ فقد رويتَ لي مرة قصة مشابهة!

المفتش: فعلًا، لقد حدث هذا منذ عشرين عامًا!

تختخ: متى نذهب؟

المفتش: بعد ساعة ... ولكن هل تُريد المستشفى الجديد أو القديم؟ إنهم يسمون الجديد مستشفى «المنيل الجامعي».

تختخ: من أين سُرقت السيارة؟

المفتش: من المستشفى القديم.

تختخ: إذن نُريد دخول المستشفى القديم.

المفتش: اتفقنا وعندما تصلون اطلبوا مقابلة المدير مباشرة.

وكان بقية المغامرين يستمعون إلى الحديث في اهتمام، فالتفت إليهم «تختخ» قائلًا: في كلمتين ... وكما سمعتم ... إنني أشك أن عصابة يوم الخميس توجد — أو يوجد بعض أفرادها — في مستشفى «قصر العيني» ... وسوف أدخل أنا و«عاطف» والشاويش «علي» إلى المستشفى في محاولة لكشف أسرار العصابة.

ثم التفت إلى «عاطف» قائلًا: والآن أنت مصاب بآلام في بطنك ... ولنقل إننا تناولنا طعامًا من بائع متجوِّل؛ فسوف يشكون أن عندك تسمُّمًا.

عاطف: أعوذ بالله ... تسمم؟

تختخ: وأنا أيضًا؛ فقد كنا معًا عندما تناولنا الطعام الفاسد.

هز «عاطف» رأسه قائلًا: أمري إلى الله! ولكن لماذا لم تأخُذ «محب» معك؟

تختخ: لأنَّ «محب» اشتبك مع اللصوص، وقد يتعرَّف عليه اللص.

عاطف: إنه سيتعرَّف أيضًا على الشاويش.

تختخ: لقد طلبت من الشاويش أن يُخفيَ وجهه خلف كمية من القطن والشاش، ولن يظهر منه سوى عينيه وفمه طبعًا.

وبعد نصف ساعة كان «تختخ» و«عاطف» مستعدَّين، وحضر الشاويش «فرقع» وهو يربط وجهه بكمية ضخمة من الشاش والقطن، ولم يكد يراه «عاطف» حتى انفجر ضاحكًا، وبخاصة أنه كان يلبس جلبابًا واسعًا، فقال «عاطف» معلقًا: إنك تُشبه «بابا نويل»!

وصاح الشاويش: إنكم تسخرون مني ... من هو هذا البابا الذي تتحدَّث عنه؟

وكاد الشاويش يقذف بالقطن والشاش لولا أن «تختخ» أخذ يطيب خاطره، ويعاتب «عاطف» على سخريته.

استقل «تختخ» والشاويش، و«عاطف» تاكسيًا إلى «قصر العيني» ... وعندما وصلوا إلى هناك طلبوا مقابلة المدير كما قال المفتش «سامي»، واستقبلهم الرجل بترحاب وقال لهم: إن المفتش «سامي» اتصل بي، وقد خصصتُ لكم ثلاثة أسرَّة متجاورة في عنبر رقم ٢ فاستبدلوا ملابسكم بملابس المستشفى.

وضغط المدير على جرس بجواره، فأقبل أحد المُمرضين فأعطاه المدير التعليمات اللازمة ... وفي الطريق إلى العنبر قال «تختخ» للشاويش: إذا شاهدتَ أحدًا من رجال العصابة في المستشفى سواء أكان مريضًا أو مُمرضًا فلا تُبدِ أية إشارة أنك تعرفُه ... إننا نريد أن نفاجئهم جميعًا.

ودخلوا العنبر المتسع ... كان هناك نحو ١٣ مريضًا، جلس بعضهم ونام بعضهم الآخر ... وأشار لهم الممرض إلى أماكنهم ثم تركهم وانصرف.

استلقى الشاويش على فراشه ممثلًا دور المريض ... وكان «عاطف» برغم أنه يعرف أنهم في مهمة خطرة يكتم ضحكاته وهو يرى الشاويش يُخفِق تمامًا في تمثيل الدور ... على حين جلس هو في فراشه، ووضع يده على بطنه ... وكان «تختخ» يجلس في فراشه هو الآخر في ثوب أبيض ضيق، وأخذ يُدير عينيه في المكان ... كانت رائحة المطهرات والأدوية والجروح تملأ المكان، وبعض المرضى يتأوَّهون، وممرضة سمراء صغيرة تدخل العنبر وتخرج بين فترة وأخرى.

كان «تختخ» يرجو أن يكون مُمرِّض العنبر من الرجال. وكان عليه الآن أن يغير خطته، فمال على الشاويش وطلب منه أن يخرج للذهاب إلى دورة المياه ... وأن يتجوَّل أطول فترة ممكنة ويراقب المُمرضين.

قال الشاويش: ولماذا، إنني لا أفهم خطتك؟

تختخ: إنني أتوقع أن يكون أحد أعضاء العصابة يعمل ممرضًا هنا ... فخذ بالك.

وخرج الشاويش، وجلس «تختخ» و«عاطف» يتحدثان، وعينا «تختخ» تتجولان بين المرضى؛ فهو لم يكن يبحث بين المرضين فقط ... لقد كان في ذهنه فكرة عن أحد المرضى، وقرر أن يبدأ أبحاثه ... اتجه إلى المريض المجاور له وقال: كم مضى عليك من الوقت هنا؟

المريض: أسبوع تقريبًا.

تختخ: هل تعرف أحدًا كان هنا قبلك؟

المريَض: نعم ... هناك هذا الرجل الذي ينام بجوار النافذة، لقد جئتُ فوجدته هنا ... وهناك العجوز الذي يجلس في فراشه ويداه ترتعشان لقد جئت أيضًا فوجدته هنا.

تختخ: هذان فقط؟

المريض: نعم ... الباقون جاءوا بعدي.

وقام «تختخ» متظاهرًا بالخروج ... واقترب من المريض الذي بجوار النافذة ... كان رجلًا متوسط العمر أصفر الوجه إلى حد كبير ... ونظر «تختخ» إلى يديه ... كانتا خشنتين ... فهما يدا فلاح وعرف أنه ليس الرجل المقصود.

كانت الساعة قد أشرفت على التاسعة ليلًا، وبدأت الحركة تهدأ في المستشفى الكبير، وعاد الشاويش إلى فراشه، وأشار إلى «تختخ» بأنه لم يجد شيئًا يستحق الذكر ... ولا رأى أحدًا من المشتبه فيهم.

وأحسَّ «تختخ» بتوتُّر، وخشيَ أن يكون قد تسرع بدخول المستشفى ومعه «عاطف» والشاويش ... فالمستشفى كبير ... وعدد العاملين فيه كبير جدًّا ... ومن الصعب العثور على شخص معين في وسط كل هذه الحجرات والممرات وغرف العمليات، والحدائق، والمطابخ ... إن عالم المستشفى عالم ضخم وسيكون من المستحيل تقريبًا أن يصلوا إلى شيء. وأخذ يفكر، وهو يدير رأسه حوله ... وفجأة وجد أحد الأطباء يدخل العنبر وقد تدلت السماعة الطبية من رقبته وخلفه ممرض يدفع أمامه عربة الغيار ... والتفت «تختخ» إلى الشاويش «علي» وخطرت بباله فكرة مُخيفة ... إن الطبيب قد لا يعرف حقيقتهم فيقوم بالكشف عليهم ... وفكَّر أن باستطاعته هو و«عاطف» أن يتظاهَرا بالمرض بشكل ما، ولكن الشاويش يربط رأسه بالقطن والشاش، ومعنى ذلك أنه مُصاب فيه ... فأين هي الإصابة؟

كان «عاطف» قد رأى الطبيب هو الآخر وخطَر له الخاطر نفسه، وأخذ ينظر إلى «تختخ»، وسرعان ما انتقل «تختخ» إلى جواره في الفراش وقال: ما العمل يا «عاطف»؟

عاطف: لا أدري. وأظنُّ أن الطبيب سوف يصرُّ أن يكشف عليه، وسوف تصبح مهزلة إذا لم يجده مصابًا بشيء.

وفجأة خطرت لـ «تختخ» فكرة، فأسرع إلى الشاويش وهمس في أذنه: تظاهر بالنوم يا شاويش، تظاهر بالنوم وإياك أن تستيقظ مهما كانت الأسباب.

ونفذ الشاويش التعليمات فورًا فأغمض عينيه، وجر الأغطية على جسمه ثم أدار وجهه إلى الناحية الأخرى.

تنفَّس «تختخ» الصعداء، فقد مرت الأزمة ... وأخذ «تختخ» يرقب الطبيب وهو يتجول بين الأسرة ويقف عند كل مريض، بعضهم كان يمر به سريعًا، وبعضهم كان يقف عنده طويلًا ... واقترب الطبيب من مكانهم، واستعدَّ هو و«عاطف» لتمثيل دور المرضى.

وفجأة سمع «تختخ» صوت شخير يصدُر من الشاويش، وابتهج جدًّا؛ لأن الشاويش قد أجاد تمثيل دوره إلى هذا الحد ... فمن المؤكد أن الطبيب سيتركه مرتاحًا في نومه ولن يصرَّ على الكشف عليه.

وزاد اقتراب الطبيب، وأخذ «تختخ» يستعد ... وفجأة تقلب الشاويش في فراشه ومد يده ونزع الأربطة التي على رأسه ووجهه ... واستدار وأصبح وجهه في مواجهة الطبيب كان الرأس سليمًا طبعًا وكذلك الوجه، وليسَت هناك إصابة واحدة ... وسقط قلب «تختخ» بين قدميه، فلا بدَّ أن الطبيب سيلاحظ الأربطة المنزوعة والوجه السليم وستصبح كارثة.

واقترب الطبيب وأمسك بالكارت الخاص «بعاطف» وكشف عليه بسرعة، وكذلك فعل مع «تختخ»، وكان واضحًا أن الطبيب يعرف حقيقتهما. وكان المُمرض الذي يسير خلفه يحدق فيهما ... ثم اتجه الطبيب إلى فراش الشاويش وقرأ الكارت أيضًا، ثم هز رأسه ومضى ... وأدرك «تختخ» أن مدير المستشفى قد أوصى بالكشف عليهم ظاهريًّا ... وأحس «تختخ» بالارتياح، وأخذ يتأمل الشاويش الذي استسلم لنوم هادئ بعد تعبِ اليوم الطويل.

نهاية مغامرة

قال «تختخ» لـ «عاطف»: إننا يجب أن نوقظ الشاويش ليتجوَّل في المستشفى؛ فنحن لم نُحضره معنا لينام هنا، لقد أحضرناه للبحث عن «شوقي» المزعوم أو اللص الهارب ...

واتجه «عاطف» إلى الشاويش وأخذ يهزه، على حين كان «تختخ» يخفيهما عن عيون بقية المرضى حتى لا يروا ما يحدث ... واستيقظ الشاويش، وأخذ ينظر حوله في ذهول وهو يرى «عاطف» يضع على رأسه ووجهه القطن والشاش ويقول: هيا يا شاويش، يجب أن تُعاود التجوُّل في المستشفى.

كاد «الشاويش» يثور، لولا أن تذكَّر مهمَّته، فقام متثاقلًا وهو يجر قدميه، ويعدل الرباط الذي على رأسه، وبقي «تختخ» و«عاطف» ينتظرانه ... وانطفأت أغلب أنوار المستشفى ولم يعد إلا نور خافت، واستسلم المرضى للنوم، واستلقى «تختخ» على ظهره يفكر فيما فعله ... هل كان على صواب؟ هل يمكن حقًّا العثور على طرف الخيط للغز عصابة يوم الخميس؟

ومضى الوقت ... وتأخر الشاويش أكثر مما يلزم ... وتسلل «عاطف» في هدوء إلى فراش «تختخ» قائلًا: ماذا حدث؟ لقد تأخر الشاويش!

تختخ: فعلًا ... وأعتقد أننا يجب أن نبحث عنه.

وبهدوء شديد سارا بين المرضى النائمين في الضوء الخافت حتى وصلا إلى الباب ثم فتحاه وخرجا ... كانت الصالة الواسعة خالية، ويتفرَّع منها ممرات بيضاء ... كان بعض الأطباء أو بعض الممرضين يسيرون فيها سراعًا ثم يَختفُون في الحجرات الكثيرة ... كان الصديقان يخشيان أن يقابلهما أحد ويسألهما عن سبب تجولهما في طرقات المستشفى في هذه الساعة، وكانت قد أشرفت على الحادية عشرة.

قال «تختخ» لـ «عاطف»: اذهب أنت من اتجاه، وسأذهب أنا في الاتجاه الآخر، وسوف نلتقي بعد نصف ساعة أمام العنبر رقم ٢.

واتجه كلٌّ منهما في طريق، وفي ذهن كل منهما سؤال واحد … أين ذهب الشاويش؟

اتجه «عاطف» إلى دورة المياه … كان يتوقع أن يكون الشاويش هناك، ولكن دورة المياه كانت خالية، ولا أثر للشاويش فيها … أما «تختخ» فقد كان يتوقع أن يكون غياب الشاويش بسبب شيء خطير. كان قلبه يُحدثه أن العصابة قد عرفت وجودهم وأنهم يُراقبونهم، وكلما فُتح باب أو أُغلِق كان «تختخ» يحاول الاختفاء بجوار أقرب عمود أو باب. وتذكر وهو يقف في الظلام بجوار السلم المؤدي إلى الطابق الثاني، تذكر الممرض الذي كان مع الطبيب. صحيح أنه لم يبدِ أيَّ معرفة بهم، ولكن نظراته إلى الشاويش لم تكن عادية. هل كان فعلًا أحد اللصَّين اللذَين شاهدا الشاويش، أم أنه يتوهم؟

وقرر أن يكون أكثر جرأة، فيمشي في طرقات المستشفى يفتح الأبواب وينظر خلفها، فإما أن يعثر على الشاويش ويعرف ما حدث، وإما أن يصطدم بالعصابة. ومضى يفتح كلَّ بابٍ يُقابله … مرضى نائمون … ممرضات صحنَ في وجهه، أطباء نهروه وطلبوا منه العودة إلى عنبره.

ووجد نفسه أمام غرفة العمليات، كانت أنوارها مطفأة … وتردد قليلًا ثم فتح الباب ودخل، ومد يده يبحث عن مفتاح النور … وفجأة أحسَّ بحركة قريبة، حركة بسيطة جدًّا ولكن حواسه المرهفة أدركتها، وقفز من مكانه، وسمع صوت شيء يصطدم بالحائط … شيء كان يوحي إليه برغم الظلام أنه عصا … وألقى بنفسه على الأرض وسمع صوت أقدام تتحرَّك ناحية الباب … ثم فُتح الباب وأغلق … وأدرك «تختخ» أن من بالغرفة غادرها … فأسرع مرة أخرى إلى مفتاح النور وأضاء الغرفة الواسعة، وأدار نظره فيها، وتوقفت نظراته عند مائدة العمليات … كان الشاويش «فرقع» ممدًّا وكأنه مستمر في نومه الذي بدأه على فراشه! وأسرع «تختخ» إلى الشاويش يهزُّه مُحاولًا إيقاظه، ولكن الشاويش لم يستيقظ … وأدرك «تختخ» على الفور أنه واقع تحت تأثير مخدِّرٍ قويٍّ لن يستيقظ منه إلا بعد ساعات طويلة. كان على «تختخ» أن يُفكِّر ويتصرف بسرعة … فالرجل الوحيد الذي كان يمكنه أن يتعرف على رجال العصابة نائم تحت تأثير مخدِّر، والعصابة عرفت أنهم هنا، وسوف تتحرك بسرعة، إما لتقضي عليهم أو تهرب …

وخرج إلى الدهليز … وكان خاليًا … وفجأة وجد «عاطف» يندفع جاريًا، وعندما شاهد «تختخ» أقبل عليه مسرعًا وقال بصوت لاهث: «تختخ» لقد شاهدتُ حالًا رجلًا عجوزًا يسنده ممرضان، وهم يسيرون بأكثر قدر من السرعة وبشكلٍ يدعو للارتياب.

قال «تختخ»: رجل عجوز ... يسنده شخصان؟!

عاطف: نعم ... في هذا الاتجاه!

وأشار «عاطف» إلى دهليز طويل يتقاطع مع الدهليز الذي كانا يقفان فيه. فقال «تختخ»: هيا بنا ... سننقضُّ عليهما مهما كانت النتائج ... إننا نريد أن نُحدث أكبر قدر من الضجة الآن ... لا بدَّ أن نلفت الأنظار إلينا!

وجريا معًا، ووصلا إلى الدهليز الذي أشار إليه «عاطف»، ولكنه كان خاليًا، ولكنهما شاهدا بابًا يغلق بهدوء في أقصى الدهليز، واندفعا إليه، ودخل «عاطف» أولًا لأنه أسرع وأخف حركة، ودفع الباب ودخل، وسمع «تختخ» الذي كان يتبعه عن قرب صيحة ألم، فاندفع خلفه ووقع بصره على «عاطف» مكومًا على الأرض يُحاول النهوض ورجل جالس على كرسي وكان في يده قطعة من يد مقشة ... لم يكد يرى «تختخ» حتى حاول الانقضاض عليه، ولكن «تختخ» زاغ منه ثم أطلق ساقه في ضربة قوية أصابت بطن الرجل فسقط على الأرض صائحًا من الألم ... أما الرجل الثالث فكان يُحاول فتح دولاب في الحائط ... وعندما رأى «تختخ» تحوَّل إليه وفي يدِه لمَعَت أداةٌ حادَّة ... ووقفا أحدهما أمام الآخر وقد انحنى كلٌّ منهما إلى الأمام مُحاذرًا ... واندفع الرجل فجأةً محاولًا طعن «تختخ»، ولكن «تختخ» تنحَّى سريعًا جانبًا، وحاول أن يضرب يد الرجل التي تحمل الأداة الحادة، ولكن الآخر استطاع أن يُبعد يده ... ومرة أخرى تواجها ... وكان الرجل العجوز الجالس على الكرسي يمسك ببطنه وينظر حوله في ذُعر ... ودار الغريمان أحدهما أمام الآخر كأنهما فهدان يحاول كل منهما الانقضاض على صاحبه. ونظر «تختخ» نظرة خاطفة إلى «عاطف» والتقت عيناهما بسرعة. وأدرك «تختخ» ما في عينَي «عاطف» من معنى، فتحرَّك وتحرَّك الرجل الذي أمامه ... كانت خطة «تختخ» أن يضع الرجل في متناول «عاطف» الذي كان مُتظاهِرًا بالإغماء. وفعلًا سقط الرجل في المصيدة بسرعة وببساطة ... فقد دار حتى أصبح ظهره إلى «عاطف» الذي انقض على ساقيه وجذبهما بشدة، فسقط الرجل على وجهه، وارتطم بالأرض وانطرح عليها مُغمًى عليه ... وكان الرجل الآخر الذي ضربه «تختخ» يحاول النهوض، ولكن «تختخ» لم يُمهله، وأسرع هو و«عاطف» الذي استردَّ قُواه، وسرعان ما طرحاه أرضًا ... ونظر «تختخ» إلى قدميه ثم قال له: الميت الهارب.

ونظر «عاطف» هو الآخر إلى قدمَي الرجل وقال: مبروك الحذاء الجديد. كانا سعيدين بانتصارهما السريع، ولكن في الوقت نفسه كانا يُفكِّران في الخطوة التالية ... ماذا يفعلان؟

ولكن الخطوة التالية جاءت بأسرع مما يتوقعان، فقد سمعا صوتًا في الصالة ينادي: «توفيق» ... «توفيق»!

وعرفاه على الفور ... كان صوت المفتِّش «سامي» ... ولم يُصدِّقا آذانهما في البداية، ولكن الصوت استمر ينادي ... وصاح «تختخ» بأعلى صوت مُمكن: أنا ... هنا!

واندفع المفتش «سامي» شاهرًا مسدَّسه وخلفه رجاله.

قال «تختخ» وهو ينهض واقفًا: جئتَ في الوقت المناسب، ولكن كيف؟

المفتش: كان رجالي يُراقبُون المستشفى، ومنذ ساعةٍ وصَلَني التقرير الذي طلبته عن البنزين الذي ينقص في سيارات الأطباء يوم الخميس، واتصلت بالمستشفى تليفونيًّا وطلبتُ التحدث إليك، فقالوا إنك غير موجود ... وطلبت «عاطف» فقالوا إنه غير موجود ... وطلبت الشاويش فقالوا إنه غير موجود ... وأدركتُ أن شيئًا غير عادي يحدث. فطلبت من الرجال مراقبة المستشفى ... ثم حضرت بنفسي ...

تختخ: إنك رجل عظيم ... لقد كُنا حائرين ماذا نفعل!

والتفت المفتش إلى الرجل العجوز الجالس على الكرسي وصاح في دهشة: «القفل» ... ماذا تفعل هنا؟

ثم هزَّ المفتش رأسه مرات وقال: كيف لم يَخطر ببالي أنه أنت ... طبعًا لا أحد في هذا البلد يمكنه فتح الأبواب المُغلَقة ولا الخزائن بهذه البراعة إلا أنت ... ولكن ...

قال «القفل»: آسف يا حضرة المفتش ... أرجوك ... إنني رجل مريض ... وسوف أموت!

المفتش: تموت؟ إذا كنتَ تعرف أنك ستموت، فكيف اشتركت في كل هذا؟

القفل: خطأ ... خطأ ... لقد أغرَوني، ولم يكن عندي مصدر رزق فاستسلمت للإغراء.

المفتش: قُل هذا في المحكمة.

كان رجال المفتش «سامي» قد وضعوا القيود في أيدي الرجلَين والتفَتَ المفتِّش إليهما قائلًا: والآن أين بقية العصابة؟

صمت الرجلان، ولكن نظرة حادة مُنذِرة من عينَي المفتش أنطقتهما فورًا، وقال أحدهما: إن الرابع ليس من المستشفى. والخامس يأتي من المنصورة كل يوم خميس.

تختخ: يوم الخميس فقط؟

الرجل: نعم.

تختخ: الآن أدركت كل شيء ...

قال المفتش لأحد رجاله: خُذ عنوان الرجلين الآخرين، وأرسل حالًا في طلب القبض عليهما ... وضع هذا العجوز تحت الحراسة في المُستشفى ... إنني أعرف أنه مريض، وقد أُجريَت له عدة عمليات جراحية.

وخرج رجال المفتش «سامي» الذي قال فجأة: ولكن أين الشاويش؟

تختخ: إنه ينعم بنوم ثقيل تحت تأثير مُخدِّر ... لقد طلبنا منه أن يتجول في المستشفى لعله يقابل أحد اللصوص ويتعرف عليه ... ولكن يبدو أن اللصوص هم الذين تعرفوا عليه، وأخذوه إلى غرفة العمليات وخدَّروه.

ضحك المفتش، وقال «عاطف»: الحمد لله أنهم لم يُجرُوا له عملية جراحية!

تختخ: من يدري ... لعلَّهم كانوا سيفعلونها.

واتجه الصديقان والمفتش إلى غرفة المدير، الذي لم يكن موجودًا، وطلب المفتش أن يحضروا لهما ثيابهما العادية ليعودا إلى منزلَيهما في الليلة نفسها.

وعندما اجتمع الأصدقاء والمفتش «سامي» في صباح اليوم التالي، قال المفتش: لقد سقطت في أيدينا العصابة ... وبقيَ أن يُفسِّر لنا «تختخ» استنتاجاته التي أدَّت إلى هذه النتيجة.

قال «تختخ» مبتسمًا: الحقيقة أن الرجل العجوز كان أول ما لفَتَ نظري ... لقد قال «محب» عندما كان يُراقب العصابة إنه شاهد رجلًا عجوزًا يُسنده شخصان ينزل من السيارة ويذهب إلى «الفيلا» ويغيب فترة من الوقت ثم يُعيده الرجلان إلى السيارة ... ماذا يعني هذا؟ إن أية عصابة لا يمكن أن تأخذ معها رجلًا عجوزًا إلا لسببٍ قوي ... والسبب الذي استنتجته ويستنتجه أي شخص يفكر أن هذا الشخص ضروريٌّ للعصابة جدًّا ... هل هو ضروري ليحمل المسروقات مثلًا؟ هذا غير معقول ... إنه لازم لأنه يُجيد عملًا لا يجيده إلا هو ... واستنتجت أن العمل الذي يجيده هو فتح الأبواب المُغلَقة. ثم كان الاستنتاج الثاني حول السيارة المسروقة؛ لقد سُرقَت من أمام المستشفى، وأعادها السارقون إلى مكانها ... إذن لم يكن في نيتهم سرقتها نهائيًّا، لقد كانوا فقط يستخدمونها ... ثم كان الحذاء المطاط ... وهو نوع يُستخدَم عادةً في المستشفيات، يلبسه المرضون حتى لا يُحدثُوا صوتًا.

وسكت «تختخ» لحظات يستجمع أنفاسه، ونظرات الإعجاب تحوطه ثم مضى يقول: ثم كانت البقعة الحمراء، وتقرير المعمل عن البقعة الحمراء ... إنها «مركروكروم» ... ثم كانت الرائحة التي شمها الشاويش عندما كان «شوقي» المزعوم يتحدث إليه ... إنها رائحة مستشفى ... إذن ...

قالت «لوزة»: لا بد أنها عصابة في مستشفى!

تختخ: بالضبط ... أو أن أغلب أفرادها يعملون في مستشفى، وأضيف الآن ما قاله المفتش عن أن بعض الأطباء لاحظوا نقص البنزين في سيارتهم في بعض ليالي الخميس ... ذلك أن العصابة كانت تستخدم هذه السيارات في سرقتها ثم تُعيدها إلى مكانها!

نوسة: وحكاية يوم الخميس؟

تختخ: لقد كنت أظن في البداية أنهم يختارون يوم الخميس لسبب خاص بعملهم في المستشفى، ولكن اتَّضح أن أحد أفراد العصابة يأتي يوم الخميس من «المنصورة» ليشترك في السرقة، ولا بدَّ أنه يجيد عملًا معينًا هو الآخر.

قال المفتش: إنه يُجيد سرقة السيارات وقيادتها، فليس هناك سيارة تَستعصي عليه، وهو يعمل سائقًا في «المنصورة»، وإجازته الجمعة!

تختخ: إنني أستطيع أيضًا أن أتصوَّر كيف بدأت العصابة تفكيرها. لقد بدأت يوم وصول «القفل» إلى المستشفى!

المفتش: هذا صحيح ... فقد استجوبناهم أمس ... واتضح أن «القفل» كان نزيل السجن، ثم أصيب بمرض خطير فنُقل إلى المستشفى، وهناك عرف المُمرِّض «حسني» الذي سمى نفسه «شوقي» بحقيقة «القفل» ... وعرض عليه أن يشتركا في عصابة السرقة ... وتحت إغراء الرغبة في الإثراء السريع وافق «القفل»، وبخاصة أن رجال الشرطة لم يكونوا ليُفكِّرُوا فيه؛ لأنَّ المفروض أنه لا يمكنه الحركة ... ولكن اتضح أن الممرض كان يعطيه حقنة مُخدِّرة ليتغلب على الألم.

وسكت الجميع ... وبينما كانت أكواب عصير الليمون تدور عليهم قالت «لوزة»: وهكذا انتهت حكاية عصابة يوم الخميس بدون أن أشترك فيها بدَور!

قال عاطف: لا بأس ... سيكون لك دور في عصابة يوم الجمعة.

وضحك الجميع ...


هنداوي